إلى القارئ

هذا العدد اردناه تحية اكبار وتقدير للثورة الجزائرية التي تدخل هذا الشهر في عامها الخامس وتواصل بثبات وعزم سعيها الى هدفها المقدس الا وهو الاستقلال وتقرير المصير •

وقراء « الفكر » يعلمون ان هذه المجلة لم تزل منذ نشأتها موفية الى المثل العليا التي يتوق اليها رجال الثورة ، واقفة الى جانب الجزائر الباسلة المتوثبة بما نشرته وتنشره من دراسات للواقع الجزائري وشهادات عن القمع وأعمال العنف وسياسة الابادة الاجرامية ، وبما نشرته ايضا وتنشره من ادب انشائي مستوحى من هذه المغامرة الانسانية العظمى التى يريد بها اخواننا الجزائريون بناء كيانهم من جديد وبعث شخصيتهم عزيزة طريفة خلاقة •

ان تضامننا الايجابي المتماشي مع طبيعة هذه المجلة التقدمية وماهية رسالتها الانسانية لا نستمده من روابط الاخوة والجوار ووحدة اللغة والمعتقد فحسب ؛ فان لهذه الروابط وزنا وأي وزن في معيار اعمالنا ومواقفنا من غير شك ، ولكننا نحب ايضا ان نخرج بالقضية الجزائرية من حدود العائلة الاسلامية الكبرى وصعيد المغرب الكبير المظفر الى دائرة البشرية المتضامنة حتما في السراء والضراء ، ونستشرف بها الى افق الانسانية المتطلعة الى الخير والاخاء والمحبة •

ذلك ان المعمورة الفاضلة ، التي تبينها فيلسوف الاسلام ابو نصر الفارابي منذ عشرة قرون ، لا تبلغ تمامها حتى تقوم كل امة من مجموع اممها برسالتها وتقدم قسطها - مهما تواضع - للسير بالحضارة الى غايتها المطلقة تستمده من اعمق اعماق شخصيتها واطرف ما تجود به قريحة ابنائها الاصيلة • والامة الجزائرية امة لها كيانها ومقوماتها ولها شخصيتها وتاريخها وهي امة انبتت تربتها اعلاما في الادب والعلم والفن منذ فجر التاريخ الى القرن الماضى • وان الاستعمار الفرنسي بمحاولته مسخ هذه الامة وطمس معالمها وفرنسة ابنائها واستئصالهم من طبيعة بيئتهم ونوع حياتهم اجرم في ذات الانسانية اجراما اذ هو اوقف جد ولا من اخصب هذه الجداول التي تغذي دوما نهر الحضارة والفكر.

فتضامننا مع اخواننا ليس اذن من باب «انصر اخاك ظالما او مظلوما» فقط بل هو انتصار للفكر وانتصار للقيم العليا وصرخة داوية نأمل ان تحرك الضمائر وتحفز صاحب القلم في كل مكان لينضم الى جبهة الخير في صراعها ضد قوى الشر •

بذلك يتحقق الامل ويعلو الحق وينطلق الفكر والادب والفن في ارض الكفاح والتضحية وتسترجع الامة الجزائرية مكانتها في عائلة الانسانية الكبرى ولا يبقى الا ان تردد الاجيال « لعنة الفكر » على الاستعمار الفرنسي بالجزائر الخالدة •

الفكر

وجود

بقلم احمد مختار الوزير

مهداة الى جميلة بوحيرد رمز البطولة الجزائرية

سَجَا الليـل ظلمته الداجيهْ   سَجَـا يشبه القبر والهاويه
سجا أخرس الصمت ، لا نأمة   تَنِمُّ ، ولا نَأْمَة خافيـهْ
طوى كل صوت ، فلا من صدى   سوى نبرة البومـة النائيهْ
وتلك التي التحفت بالدجى   وسارتْ ، محاذرة ، خافيهْ
تمدّ يداً ، في الظلام الرهيب   وتمشي بهـا قـدمٌ وانيهْ
تَحمَّـلُ عثراتـهـا تارةً   ويُدمي الحصا رجلَها ثانيهْ
تَهـزُّ ، في صدرها ، زفرةٌ   تكتّمها شفـة ذاويـهْ
تخال الخواطر هَيْنَمَـةً   فتُلقي لها أذناً واعيـهْ
وتسمعُ ، من نفسها ، قصةً   وتؤنسها نفسها الرّاويـهْ

❀ ❀ ❀

جميلـة انت الوجود بما   تريدين مختارة راضيـهْ
وأنت الحياة وأكوانها ،   بما فيك من عزمة ماضيهْ
وذاك الاله السخي السناء   يبارك أحلامك الزّاكيـهْ
هو الحب كوثره زاخر   وأثمار جنته دانيـهْ
فكوني لقومك ، كوني لهم ،   من الحب آيته العاليـهْ

ورقت، من النفس في سَبْحِهَا رواية قصّتها الساميه
وظلت جميلة، في صمتها تَسَمّعُ أنغامها، ساهيه
وأعيت فمالت الى صخرة ولذت لها ضجعة غافيه
فراحت توسّدُ، من كفها مُعَنَّمَةً، رَخْصَةً، قانيه
وأطبقت الجفن ترنو الى سوافر رؤيتها الساريه
رأتْ جائعا حُرِمتْ كفُّه تناول لقمته الكافيه
رأتْ عارياً ذِيدَ أن يكتسي سوى خرق رثة باليه
رأتْ حَامِضَ الوجه واهي القوى مريضا، وما له، من واقيه
رأتْ زمراً، من شباب فتيّ من الجهل، في ظلمة غاشيه
رأتْ حرة الوجه منبوذة تَرَسَّفُ، في قيدها، عانيه
رأت كل ذلك، في قومها مشاهد صارخة خازيه
رأت كل ذلك في موطن تكيد له فئةٌ طاغيه

❀ ❀ ❀

ورعَّشَها الهولُ هول البلاء، وأبقى بها رجفةً عاتيهْ
كفرخ، من الطير في وكره، تهاجمه حيّة عاديه
ودغدغت النسمات اللطاف مفاتنَ، من جيدها، باديه
وألقت ذوائب، من شعرها، على وجنة، كالسنا، صافيه
وقبلها الفجرُ، أنفاسُه وزاد فقبلها ثانيه
وأيقظها النور، نُور الصباح وموكب أطياره الشاديه

أفــاقت جميلــة مبهوتة ... وللافق، من حولها، رانيه
وظلت تلمَّس، من صدرها ... أسيـل ترائبها العـاريه
ولاحت لها، من نجيع الدماء ... بقايا، على صخرة، باقيه
فأرسلت اللحظ، في خشعة ... كخشعة راهبة حـانيه
وفي مقلتيها، وقد ماجتا ... كوارث محنتها القـاسيه
وبالهُدب أو خدّها تُجتلى ... سوابق عَبْرتها الداميـه
وظلّت تذكر أخوانها ... تغالبهم زُمْرةٌ باغيه
وتبدو جماجمهم حولها ... مبعثرة، في الثرى، ثاويه
وتذكر قتلاهمُ بالجبال ... وريحهمُ، والدما الجاريه
وتذكر إيمانهم بالوجود ... وتذكر غاياتهم، ماهيه
فتأسى، وتنهض مشبوبة ... كأن للهدى، بعثت داعيه
تريد الحياة، وما في الحياة ... من العيش، في نعمة راضيه
تريد الحياة، وما في الحياة ... من الخلق، والقوة البانيه
تريد الحياة وما في الحياة ... من المجد، والعزة السامية
تريد، وتذكر، من نفسها ... أغاريد هَيْنَمة شاديه
جميلة انت الوجود بما ... تريدين، مختارة، راضيه

❀ ❀ ❀

وسارت جميلة، بين الشعاب ... تنقّل كالظبية الصاديه
وعانقها النور، نور الضحى ... وأبصرها فـذّة غـانيه

وأبصر ، من عينها ، راميا ، ألا حبذا الاعين الرامية
وابصر ، من نهدها ، قائما ، ترجرجه الخفة اللاهيه
وأبصر ، من خصرها ، مضمراً تُرنّحه المشيةُ الوانيه
وابصر ، من خطوها ، رقصةً تَحَامَى بها العَثْرةَ الكابيه
وباركها النور ، ألوانُه ، وألبسها حلةً زاهيه
وسارتْ تَرَنَّحُ ، مختالةً ، على صخرة الاطلس النابيه
فوجهٌ سَنِيٌّ ، وروحٌ أبيٌّ وحبٌّ سَخِيٌّ ، وهَذا هيِّنْ
وأدركها ، من عيون البغاة رجال قلوبهُم جافيه
أحاطوا بها ، في جنون الغباء سباعاً مقحمة ضارية
وظنوا لبأسائهم شوكةً ولكنها شوكةٌ فانيه
وشاءوا ، فكانوا قساة النكال وما حسبوا أنها الداهيه
وعَذَّبها القيد ، قيد الحديد ، فكانت ، مُعَذَّبَةً راضيه
عنيف ، من الشرّ ، لاذوا به لتحطيم عزمتها الماضيه
فما خدشوا كبرياءَ الصمود ، ولا قلقلوا الصخرة الراسيه
وهيهات ، هيهات أن يفعلوا وفي قلبها القوة العالية
وهل تقهر اللّبآت حِرَابٌ بأيدٍ مرعّشة واهيه
لقد جهلوا كنه ذاك اليقين وقد جهلوا ، بطراً ، مَاهِيَهْ
وألهاهُمُ الشرُّ أن يبصروا ، وهل تبصر الاعين العاميه
وقامتْ جميلة ، من بينهم ، قيام المدججة الحاميه

تريهم سخافة ما يفعلون   يبسمتها العذبة الزّاريه
وتذكر تذكر ، مَن نفسها   أنا غيدم هينمة شاديه

❀ ❀ ❀

جميلة أنت الوجود بما   تريدين مختارة راضيه
وأنت الحياة ، وأكوانها   بما فيك من عزمة ماضيه
وذاك الاله السخي السناء   يبارك أحلامك الزاكيه
هو الحب كوثره زاخر   وأثمارُ جنّته دانيه
فكوني لقومك كوني لهم،   من الحبّ آيته العاليه

السرداب

قصة للكاتب الجزائري محمد ذيب
ترجمها البشير بن سلامة

كان المطر قد عاد الى قرع بلور النافذة وكانت الريح داخل الزقاق تهمهم لحنها الممل وكان وقع الاقدام الموغلة في الوحل الغائصة في غدران الماء يتسرب خفيفا حتى الى السرداب . وكانت الانوال الخمسة اثنان منها قبالة الثلاثة الاخرى تهتز مدمدمة من فرط ثقل الدولاب والحلالات تدوّم في صوت كرفرفة الاجنحة. قال «صقالي»: انهم لايحترمون اليوم شيئا..ولا انسانا. فلم تجد كلماته اي صدى . وكانت بقرب عمر مسداة عملاقة رافعة يديها الى القبو تبتهل الى شخص او الى شيء ما ظهر قط . وفي هذه الزاوية كانت حلالات عديدة متراكمة في فوضى ملقاة بجانب صندوق منخور قد تقشر دهنه وناء بثقل نضدين من الاغطية . ومن خلف اطلت من الظلمة مائلة لوحات اقيم عليها المخدع الذي يقبع تحته صقالي صحبة مغزله فلم يكن يلمح من الغازل الشيخ الا بياض عمامته الخادع . وكان عمر يقول لنفسه وعيناه لا تتحولان عن هذا الطيف : « امر محزن ومضحك . فاي احترام يترقبه من الناس » ثم كف اهتمامه فجاة وغاب فكره عن السرداب فتذكر فتاة الصباح الآخر وعاودته الرعدة التي تملكته وهو في طريقه الى المعمل .

وتحدث صقالي عن « اعراف » الزمان الغابر الذين كانوا يحترمون العمال وتاسف لاعراف اليوم وقد نسوا كل شيء . لكن بعد قليل انقطع صوته فكانه مصباح انطفىء . ولم ياخذ احد على عاتقه قطع حبل الصمت الذي خيم بعد ذلك على المعمل فعجل عمر بالعمل وادار حلالاته بسرعة اكبر .

ثم اخذ صقالي يتمتم آيات من القرآن وصاحبه في صوت خافت «غوطي لامين» ثم ترافق الصوتان صوت اجش عصبي وآخر رخيم عميق يتوهمه السامع اكثر تهذيبا وما عتما ان اختلطا في لحن واحد واغرقا السرداب في جو جنائزي . وكان عمر يجذب ويجذب خيط الصوف من دون ان تحس بالاحتكاك اللطيف يداه

الورمتـان الضاربتان إلى الزرقة وكانهما باذنجانتان وكانت افكارحزينة قلقة ترقص بخاطره ورعشات تدب في ظهره دبيبا واسنانه تصـطك موقعة انين الحلالة الخيالي وهي تدور وتقرقر بلا انقطاع . وكان يحس بالضجر والقلق يتطرقان اليه .

وكان يلـوح على النساجين التعب والجد وراس « عكاشة » الكبير الملتحي يهتز كرقاص الساعة وعيناه قد اكلتهما ظلمة موحشة وكان الطنين المرتعش الذي يهدهد المعمل تتخلله لعنات مهموسة خافتة .

ونسي عمر معنى ما كان يقوم به من عمل وبقي يفكر طويـلا والله عـالم بما يفكر ولما عاد له وعيه اخذه شعور بالفراغ موحش. وتنفس السرداب في رائحة كريهة شديدة جعلته يتقزز منها .

وفي صمت ووقار ثقيل كان العملة يدفعون المكوك ويجذبون الامشـاط وكـانت الضربات تدوي كانها وقع مداق عديدة وكانت الايـدي تحتك بالخيوط وتدقهـا وتعقدها واصبحت الحركات لبالغ خفتها واتقانها لا تظهر جلية في نهار نضو ضئيل يتسلل من عين الكوة البيضاء اللهم اذا استوى من وقت لآخر نساج منهم ليجفف وجهه من العرق السائل او ليقلع عن صدره النخامات التي عفنته .

ومرة اخرى فارق خاطر عمر السرداب وطار نحو الصباح البارد والانهج الآهلـة فخيل إليـه أنه رأى وجها صغيرا قد غمرته عينان واسعتان وابتسم له وبالها من ابتسامة حزينة . وفجاة تضخم الوجـه وتحول الى ظل لا حـد له ونظر عمر الى ما حوله فوجد المعمل غارقا في حمى دفينة والنهار قابع في القبو وخيالات العملة تضطرب كانها ارواح حائرة . لم يتغير شيء فحفيف المكوك لم يزل يتناوب مع ضربات الامشاط .

وفي هذه اللحظة نطق « مولاي بنوار » بصوت يكاد يكون معدوما : « لم أعد أطيق » وأصغى عمر فوصلته انات ضعيفة مكبوتة في الاول ثم تضخمت شيئا فشيئا في صورة نشيج مـدو . وكان « مولاي » يتاوه وكانه يبكي . وبحث الطفل عن نظر عكاشة لكن هذا ، وبطنه لا صق بالخشبة ، كان مشغولا مطرقا براسه . وكانت جبهته العريضة متهدلة على عينيه .

وانفجر صقالي فجاة قائلا بصوت اجـش «ايه إنت ايها الطفل الغبي !انت ساه !

انظر الى ما افسدته! وتفطن عمر الى الكارثة واضاع من يده الخيط الذي كان يجذبه وفي غفلته اختلط الصوف غير الملفوف الذي كان بقدميه . واخذ « عباس صباغ » يرعد ويزبد لانه كان على وشك ان يفلت منه الخيط ورغم السرعة التي خلص بها عمر الخيط فقد صُب عليه جام من السباب ودمدم عليه شوَل مهددا

❀❀❀

تخلص حمدوش وهو مستلق على رزم الصوف من تأمل البثرات الموجودة في اللبقة المخشوشنة التي كست الجدران والقبو وتحامل على نفسه ليقوم ثم نظر امامه في الفراغ وقال ساخطا : « هي كارثة واي كارثة ان اعيش مع قوم مثلكم » وتابع النظر من دون ان يبصر شيئا على غرار النيام الايقاظ ، وكانت خواطر طائشة تجول جيئة وذهابا بعينيه بين قبسين اخضرين عجيبين .

وفي السرداب هنا وهناك كان النساجون يتمطون ويتثاءبون وقد ارخت اعصابهم فترة الراحة وقت الزوال الا ان البعض منهم بقي حتى وقت الراحة على حالته العصبية ، ولم يتنازل واحد منهم الى الرد على وقاحة الاشقر ولا اظهر انه سمعه ، وبقي حمدوش جامدا في هيئة الحالم واخيرا تنهد واضطجع على رزم الصوف ، وانعدمت منه كل حركة ، وقد يذهب الى الظن انه كان نائما لو لم يخن سكونه المفرط توتر أعصابه، وكانت اسلاك خفية تلتقط له كل ما يحدث في السرداب .

وفي ذلك الحين اخذ كثير من النساجين مكانهم امام انوالهم ، وكانت المحادثات مستمرة في المعمل غير ان الذين مددوا فترة الراحة آثروا ان يكونوا بعيدين عن كل مناقشة ، وبادر العملة الصغار بالعمل هم الاولون ، وكان عليهم ان يعدوا الصوف اللازم للانوال التي سيجين وقت دخولها المعمعة ، وفي هذا الحين تثاءب « عباس صباغ » وقال في بطء : « الا ترون انه مرزمن طويل وانا اجد في نفسي شيئا يقلقني اني غير راض عن نفسي ولا اتوصل الى فهم ما يجيش بها ، وعلى الرغم من ذلك فاني لا انفك احيا كما حييت من قبل ولم اتغير ثم اني غير مسرور »

وكان « عباس صباغ » يعمل برفقة « عصمان الاحمر » الملقب « عصمان الموت » وقد شرعا في العمل منذ لحظات وتوقف عباس الذي كان يتفوه بهذه الالفاظ عن الكلام والعمل واخذ يفكر جامدا وعيناه لا تنمان عن شيء وقال : « اني لم اعد اومن بشيء . ولا اومن بما اعمل ... هذا هو الواقع .» واخذه

الاستغراب مما كان يقول ثم واصل كلامه قائلا : « هكذا كل واحد يتحدث عن حب اخيه الانسان لكن من منا يسير وفق هذه القاعدة؟ من هو الذي يحترم قريبه؟»

والقى بنظرة خاطفة الى زملائه ، فرأى لعباس صباغ فما واسعا مجهزا تجهيزا قويا بالاسنان وعينين جاحظتين عكرتين ذات لون لا يمكن ضبطه ووجها مستطيلا وقد بزغت في ذقنه ووجنتيه بعض الشعرات الضاربة الى الصفرة وكان يجلس رافعا راسه تحسب ان نظره يلتهم كل ما يقع عليه ، وكان العملة الصغار يخافون طبعه الحاد . ثم قال : « هل لكم ان تشرحوا لي هذا الامر : اني احب الحياة عامة فكيف بي أحتقر حياتي واكرهها ؟ اجيبوا » وتظاهر فجأة بالاهتمام بقطعة النسيج التي انجزها هو وصاحبه واخذ يفحص ما فيها من خلل .

واخيرا قبل العمال الآخرون ان يأخذوا امكنتهم بالانوال والحنق باد عليهم من جراء أوامر شول ، وتفحص « حمدوش » وهو ياخذ مكانه وجه « عباس صباغ » وبصق على الارض باحتقار ، ثم قال صباغ : « ان الانسان ياخذه الحياء عند ما يقول هذا (وكان قد فرغ من النظر الى القطعة) ان وجودنا ضيق حتى ان البقة تجن فيه جنونا ، نعم رديئة هي حياتنا ، رديئة . هذا لا ريب فيه ، ثم سكت فجأة وقد عارضه احدهم واخذ يهز برأسه قائلا « ان النفس في بعض الاحيان لا تهتم بالعمل فالايدي تحذق عملها لكن الخاطر شارد فيطغى علينا القلق والصبر لا يعود يرضينا ، يقول البعض : هذا هو الانسان ، الانسان ! الانسان انها كلمة ملات افواههم أيها الاصدقاء ، فاي انسان يعنون ! هل « بيتان » ام « روتشلد » ام هل يعنوني انا ؟ يجب ان نتحدث بوضوح ولا نحشر الكل في كيس واحد ، لا تحاولوا ان تدخلوا بخلدي اني مثل الذي يملك نصف مقاطعة لا تحاولوا أن تدخلوا بخلدي اني اتعدب لاني خلقت لاتعذب ، اني انسان كغيري من الناس » وتزايد حرجه مما كان يعبر عنه من احاسيس ، وكان عباس لا يحسن التحدث بوضوح ، فهو ان تحدث عن شيء فان الذي يجب ان يفهم منه هو شيء آخر .

وتسرب القلق الى النساجين الذين كانوا يسمعون واخذوا ينظرون اليه نظرة حادة لا تبشر بخير ، وتكلم حمزة وأنكر عليه قوله : « انسان كغيري من الناس ؟ لا ابدا » ونظر عباس الى وجه معارضه الجهم ، وظهر عليه الحرج من الملاحظة التي جاءته بما كان يتوقعه من التكذيب ، وتابع فحص وجه صاحبه

بهيئة غريبة وقال حمزة : « ان الذي علمتنا الحياة هو اننا ناس غير الناس الآخرين» وكان يتحدث بصوت عال مقطعا الكلمات تقطيعا ، وكان رجلا كاملا قوي المنكبين جسيما قد جاوز الاربعين غير انه يحدج الناس والاشياء ببصر اشهل ضارب الى الزرقة، حاد، وكانت لحية كثة قد وخطها الشيب تضفي عليه مسحة من الوقار الا انها تخرجه عن المألوف المعروف من الناس ، وقد ازال « شاشيته » ووضعها بقربه كاشفة عن رأسه الاصلع من الجبهة الى الرقبة .

ولا يخفى على عمر مثل غيره من الناس ان حمزة قد دخل السجن وقضى فيه اعواما كثيرة وبقي يكتنف هذا الاعتقال غموض كبير ، فلا احد يعرف السبب لذلك ، وكاد يتفق الجميع على ان السجن قد شوش افكاره ، ثم قال : « تقضي حياتنا كلها ونحن بين الانوال في السراديب » وكان عباس ينظر اليه وهو يفكر ثم تابع قائلا : « ان روحنا تشبه هذا السرداب ، ان فوقنا الاحرار وهنا العبيد ، وليس ربح قطعة « دورو » في اليوم اكثر من العادة مما يثير اهتمام العبد . » وهمس عباس قائلا « نعم ليس ربح قليل مثل هذا يهتم به ناس يريدون ان يفروا من سجنهم ، ناس يعدون لا شيء » وكان عمر ينصت ويقول في نفسه: نعم ان الامر كما قالوا ، غير انه لماذا يقولون لا حراك بهم كالحجارة ، وتابع صباغ قائلا : « ما قيمة المطالبة بكسرة من الخبز » وقال حمزة « ان قوما بلغ بهم الامر الى ان صاروا لا شيء ، اصفارا ، اقول مثل هؤلاء لا يمكن لهم ان يفعلوا الا شيئا واحدا...ان يطالبوا بكل شيء» واصر صباغ على فكرته قائلا : « زيادة شيء قليل هي لا شيء ، زيادة مائة فلس في اليوم هي لا شيء . » وهمهم الاشقر آسفا « اذا امكن لنا ان نأكل اكثر مما نأكل فان ذلك لا يضيرنا » فلم ينتبه اليه احد.

وقال حمزة : ان ناسا مثلنا هم معيار لكل شيء ، معيار البلاد والشعب والعالم» وضغط الاشقر على شفتيه وحاطه بنظرة تنم على الحقد الذي يملا قلبه . وتابع حمزة قوله في لا مبالاة : « اننا نزلنا الى اسفل السافلين ولا يمكن لنا ان نصير رجالا بالطرق العادية ، سنكون مجبرين على ان نقلب العالم ظهرا على عقب وربما ارعناه » واخذت عباراته تخرج بطيئة اكثر من ذي قبل محجمة مدحورة وقال : « ان قدرا يهيمن علينا : فاذا اردنا التخلص منه يجب تحطيم كل شيء » واخذت عيناه الحالمتان تبعثان نورا ضئيلا واصبح له صوت اجش ثم قال : « يجب صهر العالم والانسان من جديد ؟ نعم لكن قبل كل شيء يجب تحطيم كل شيء »

واحس عمر نحو اللحظة ان نظرة شهلاء بالغة في الصفاء تحوم حولـه وان شيئا اخذ يخنقه ، شعورا غريبا لا يمكن التخلص منه ، وخيم السكون بعد ذلك على المعمل ، ولم يتم حمزة جملته فكانت منه حركة اشمئزاز كانما كنست الجو كنسا وذهب بصر النساج الى بعيد ، ثم انحنى هو بدوره على نوله وانغـمس في العمل وزأر الاشقر زأرة وقد نفد صبره وصاح : « اني مريض » فاجابـه شول : « لا يظهر عليك ذلك »

ـ قال الاشقر : اني لا اعرض شقائي على الناس

ـ قال شول : اذكر لنا اسباب شقائك ،

ـ قـال الاشقر وهو يحدجه بنظرة قاسية : اشعر بالشقـاء عندما اراكم جميعا كل يوم من ايام الله . احلف ان نفسي تمرض بمجرد رؤيتكم . هل تفهم هذا

ـ قـال شول رافعا كتفيه بسخرية : اذهب الى قـارعة الطريق واعزف على الناي يكن نجاحك اكبر ، اما هنا فكلنا رجال جد ،

فتنحنح الاشقر ساخرا وقال : انت لا تفهم ، يكفيك ان تاكل وتنـام و . . .

فاجابه شـول وهو يسب : اعد ما قلت

❀❀❀

ـ يا عمر هل تعرف انك تشبه فرخ دجاج سمين باضه «العرف» !

وكان « ما هي بوعنـان » قد غادر السرداب وعمر يصعد الدرج ويداه مثقلتان بكبب الصوف المصبوغة والتي كان يستعد لوضعها تجف في الساحة المجاورة وكانت السماء قد رفعت اذيال ثوبها وشمس الشتاء تسير متثاقلة وراء حجاب من السحب ، وكان حمـدوش يبدع في حماقاتـه بدون انقطاع ، ولذلك فهو قد اثـار الضحك في النساجين ، فسارت ضحكاتهم في المعمل مدوية في فورات صـاخبة ،

وقف عمر والقى بنظرة حالكة الى الاشقر وقال : « يا فرخ امـه » وكان حمدوش ثائر بالسبة فرد له سيلا من الشتم قائلا : « ساسحق راسك ، لبئس الراس راس جندي اللفيف ! سترى حالك ! اذهب الآن ! اذهب » فابى عمر الذهـاب وتابع الاشقر قائلا: » لماذا تسمرت هناك » وانتقل الطفل في حركة ملؤها التحدي إلا ان الكلام الفاحش الذي فاه به الاشقر جعله قرمزي اللون وحدق فيه حمدوش

بعينين كعيني الضبع واخذ يقهقه . وانصت الطفل الى هـذا الضحك مشـمئزا ثم غاب في الزقاق وكان ضحك الاشقر يتبعه وقد تحول الى سخرية لاذعة .

وعندما رجع امسك به الاشقر بغتة من اذنيه وضرب براسه خشب المسداة فافلت عمر من قبضته وصب عليه سيلا من السبـاب فاصفر الاشقر وحمل عليه رافعـا قبضتي يديه . فدافع الطفل على نفسه قدر المستطاع فكان يوالي ضربـاته في كل وجهة على غير بينة . وقد شد ازره غضب بارد . وكان حمدوش قد غاظه هـذا الدفاع فاهوى على رقبة عمر بضربة واحدة جعـلته يصيح كالوحش . فصـاح النساجون : « حمدوش ! ما ذا دهاك . ستقتله وستقضي باقي ايامك في السجن »

وكان عمر لم يطعم في ذلك اليوم . ولم يكن نظره يتبين شيئا وكان يخيل اليه انه ينقصه محور الارتكاز . وكانت رجلاه ترتعشان فتخونانه وكان يشعر بمـا يجري له شعورا مريضا . وانقض على خصمه فصوت حمدوش بصوت مخـنوق « اتركني اتركني » . وكان عمر متعلقـا به ضاغطا على جوزة عنقه كالملازمة وفي فترة من الزمن خيلت لـه لا نهاية لها غرق في غيبوبة كغفوة الفجر . فشخر الاشقر شخرة واضطربت يداه ثم تدحرج تحت احد الانوال . وبقـي عمر يترقبه في وسط المعمل . ومضت دقيقة واثنتان وثلاث ثم استوى حمدوش واقفا متغير اللون . فصـاح الطفل بكـل قـواه : « يا أشقـر ، يا دني ، يا يهودي ! » وانكب حمدوش على الطفل وقرب وجهه من وجهه وحدقتاه تتقدان شررا كالوحش . وحدق فيه عمر بدوره ونفخ له في انفه قائلا : « يا ابن الكلبة »

وتلقى على وجهه لعنة حارة ، برقا خلبا طرح به الى الارض . لكـن لم يلبث ان قام من جديد وقفز قفزة على حمدوش وبكلتايديه قبض على رجلي خصمه وبحنق عجيب أنشب في عضلاته انيابه فنبح حمدوش تالما وكان عمر يتوقع ان يقتل غير ان شيئا من ذلك لم يقع بل الذي رآه بعثه على الاستغراب . ذلك ان عكاشة بدفعة واحدة ازال الاشقر الذي تراجع حتى ارتـطم بالسلم وسقط جالسا عـلى الدرج الاول . فانفجر المعمل كله ضاحكا واحمر حمدوش احمرارا واندفـع بقفزة نحو عمر وفي حنجرته تغلي اصوات غريبة متقطعة . فالتقطه عكاشـه من يده فحاول الاشقر التخلص منه وامسك بقبضة عكاشـة غير انه لم يتوصـل الى فتحها . فصاح : « خل سبيلي » فخلى سبيله واستوى حمدوش قائمـا يرتعـش شاحب اللون لا يتحرك امام عكاشة ثم دار على قدميه دورة وانتفض انتفاضة وأصلح ثوبه وصعد الى نوله.

وفي آخر هذا اليوم صاحب عكاشه عمر وكانا يمشيان جنبا الى جنب والطفل يشعر بالرهبة تتطرق الى نفسه .

« ماكان كان . فلا نعد اليه . لكن في المستقبل يا اخي يجب ان تسير سيرة حسنة ... اياك والخصام » وكان عمر على وشك ان يحتج ويلاحظ ان الاشقر هو البادي . الا ان عكاشة اتم كلامه قائلا : « ... والا فاني انا الذي سأؤدبك احسن تاديب ! فحذار » وكانت عينا عكاشة تلمعان سرورا وقد سر الطفل في اعماقه من نظراته الحارة العطوفة . وعدل عن بسط شكواه .

« يا اخي ! لا تخالط كثيرا عملة السرداب . انك تندم » وكان الطفل لا ينبس ببنت شفة وبقيا يسيران هكذا طويلا . ثم وقف عكاشة وقال له ضاحكا انه صاحبه الى مكان بعيد نوعا ما ثم قال : « لا خطر الآن في ان يقطع الاشقر عليك الطريق » وتابع قائلا : « انك دخلت المدرسة ولا بد انك تعرف الشيء الكثير » وكان ينظر الى عمر نظرة غريبة وقال : « نعم انه من المؤسف ان يكون العمل في معمل للنسج . ان حرفتنا لا قيمة لها . انظر حالتي انا . انه اقصى ما يمكن ان تكون يوما ما بدورك . انتظر انك ستبقى هكذا الى آخر حياتك فتفكر قليلا وستفهمني » وعاوده الابتسام الا انه كانت على وجهه في هذه المرة مسحة سوداء .

وقال « انظر مثلا صقالي : فانه لا يحسن الا اعمال الاطفال رغم انه انهك قواه امام النول . اني اتمنى ان اموت قبل ان اصل الى ما وصل اليه يجب ان تعلم شيئا آخر يا أخي . وعن قريب كل شيء سينجز بالآلة ولن تمضي عشر سنوات حتى لايوجد ولو نساج واحد سترى هل انا على صواب ام لا » وافترقا .

وكاد الليل ان يخيم على الكون وكانت الريح باردة تهب من الشمال وتقرس الجو . وكان رذاذ من المطر يجلد المدينة في كل حين وان كف المطر فالسماء المتراكمة سحابا اسود بقيت تنذر بالخطر وكان عمر لا يسمع لا الفرح يغرد في نفسه كانه عصفور مختبىء . ولم يكن لانذارات عكاشة الا وقع خفيف في نفسه لم تترك اي اثر .

وفي الغد اقترب عكاشة منه ووضع يده على كتفه وقال : « لا باس عليك اليوم ؟ هل هدأت »

فهمهم عمر عبارة مهموسة وهو متحرج الا انه كان فرحا فضحك عكاشة وقال: « حسنـا »

كان عمر منكبا على عمله وكان السرداب يطن في حركة خفية دائبة تنتقل بين ركام غريب من الانوال والمغـازل والحـلالات وكان ينظر الى الظـلال التي كانت تشوه وجوه النساجين وكانت الساعات تتوالى متماثلة سوداء تضفي على السرداب ضجرا لا تقشع فيه . وكانت المكوك تصر والامشاط تصطك .

وبعد اسابيع قليلة من الركود في السرداب اقتنع الطفل بالجد الذي يكتنف حالته الجديدة . فهو يقدر الآن مدى المجهود الذي يقوم به . وقد دخل بجـهد في واقع افسح واعمق . وكان هذا الواقع يهيمن عليه غير ان نوعـا من الرضى تولد عن اتقانه لعمله وقد غمره بلا عنف ولا ضجة وهو يحس في شعور خـفي بالجد الذي يتملكه آخر كل يوم . وحتى صرخات « عينه » اخذت تقـل فهي ما زالت توبخه او هي تظهر ذلك غير ان شيئا غريبا سحريا اخذ يكتنفها .

وفي كل سبت كان يرجع الى المنزل وفي جيبه عشرون فرنكا وهي اجرتـه وكان يضع هذا المال في يد امه وهي تتمنى له هامسـة وفي نفس واحد : « لتـكن السعادة حليفتك . احسنت ايها الأب الصغير ! » وكان يخلص الخيوط المتـمردة ويفكر وفي ذلك الحين وصله لحن رقيق عذب من قعر السرداب يقول : « يا اميمة يا اميمة ، يا امي الصغيرة » وارتعش عمر كأن الجو قد برد فجأة وكان « زباش » هو الذي يغني بصوت خافت . وشيئا فشيئا ملىء السرداب بلـحن هزج رقيق لا تزيد قوته على صرصرة الصرصور . وتبعه لحن آخر ثم آخر . . . . وكان الصوت يتحرك كالرقاص كما يتحرك خيط من دخان في سماء شتاء بارد . وكان « زباش » وهو يجهد نفسه في مدة صوته لم يلاحظ اهتمام من حوله به . وكان وجهه يلوح من بعيد جامدا كوجه محتضر ولا يبعد ان يكون هو نفسه غير عارف بالسبب الذي من اجله اخذ يغني . ثم بدأ يتنفس بصعوبة وينقطع عنه النفس من لحظة الى اخرى ثم قال وهو يتنهد : « آه » وتوقف عن الغناء واغلق عينيه وخيم صمت ثقيل كأنه الرصاص غير ان الطفل في عزمة ميئوس منها حاول محاولة اخرى وانبعث صوت

عذب رقيق في ظلمة السرداب الثقيلة ، كل هذا ولم يجرؤ احد على الكلام ، ومرة اخرى في غير قوة تلاشى اللحن فهمس الطفل « لا حيلة لي على ذلك » .

واذا بصوت « شول » الغليظ يقطع الصمت ويقول : « يا زباش » فاجابه الطفل : « ما ذا تريد »

قال : « هل تريـد ان نسكر الليلة »

آه اني اريد ان امتلىء خمرا آه ! ايها الرفاق الاخيار وكأحسن ما يكون .

وكان الآخرون ساكتين كانهم اطياف خرساء قد تملكتها حركة قلقة .

وقال «شول» كأنه يتعتعه السكر : « اي اخي » وتفوه بكلمات غريبة .

ـ هنا بالضبط من غير ان تتحرك . وتمطق زباش طويلا واردف بانات غير مفهومة : اوه ـ اوه

ـ وقال حمدوش ان روح زباش مريضة ايضا

ـ فقال « غوطي لا مين » بشدة : « انك تفسد عليه روحه »

ونظر اليه شول شزرا وكشر عن لثة ضاربة الى الزرقة وقال : « اي ضرر في ذلك : أفلا مجال للهزل»

واحتج مصطفى رزاق بصوته الاغن : « انـه لا يمكن ان يلحـق ضررا بالروح ؟ كيف يتسنى افساد الروح فهي كهذا النور » والقى بنظرة الى المصابيح المضاءة المتدلية من خيوطها.

وبعد فتـرة الراحة هذه استؤنف العمل في صمت ، وتحامل النسـاجون بمراج حاد على الانوال كـانهم خرس ، ولاحظ عمر عيني شول تلمعـان سرورا وتبدو منهما سخرية لاذعة وقد اثقله العنف القلق الـذي كان يجوب المعمل ، واحس كأن شخصا من اشـخاص الاحلام المزعجة متعلق بكتفيه وقـد غاصت فيهما مخالبه الحديدية . وكانت في ذلك الحين تمر كل لحظة في بطء مريع ورقت حتى الى شفتيه رغبة خانقة في الصراخ معبرا عن حقده لهاته الحياة .

ـ هذا « العرف » قد اقبل ايها الاخوان !

وكان زباش هو الذي أعلن مجيئه لانه كان دائما يترصد كل مـا يجري فـي

الخارج . وفعلا فقد ظهر العرف بعد قليل في اعلى الدرج وتمادى العملة في النسج الا بعضهم فقد رفع راسه في تردد ثم رجع الى عمله في حركة جنونية . وكان اضطراب هؤلاء الرجال وخشيتهم امام العرف يحزن القلب وسأل العرف « ما هي بوعنان » وفي لسانه لوكة قائلا :

« نحن شجعان . ابنائي ! هلموا ايها الاطفال الشجعان ! ليسرني ان اراكم تعملون »

وتابع قائلا باسلوب فاجأهم به : « حقيقة لا يستحق شيء في هذه الدنيا ولا انسان ان يحزن من اجله . فلا فائدة في الهم كل شيء فان » .

وحرك يده في ارتخاء وفاه بحكم غامضة فلسفية او اخلاقية، لا ادري؛ وبقي ناظرا امامه كأنه يحاول ان يتذكر شيئا ثم أشار اشارة خاطفة وفي لهجة قاطعة . قال :

« استمروا . ان العمل خير من كل شيء »

واثر هذه الكلمات ارتقى درج السلم ورجع مثلما اتى مستقيم القامة ثقيلا تنبيء كل خطوة يخطوها عن نبل لا ريب فيه . فقال الاشقر ساخرا: « ان العرف ثمل » فغمغم شول « هو مملوء غباوة »

« عن مجلة الآداب الفرنسية عدد ٦٩١ »

الى قرائنا الكرام

نذكر حضرات القراء :

١) بأن عنوان المراسلة : ص. ب. عدد ٥٥٦ ـ تونس

٢) بأن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم كاملة ونحتفظ لهم بالاسم الصريح ان أمضوا تحت اسم مستعار .

ثأر انطوان ..

بقلم محمد العروسي المطوي

« ... واستلقى على الارض ... استلقى بعد
ان ولغ من حمأة الرذيلة ... مرة بعد اخرى ،
وتفيق الضحية ... تفيق لتسل الخنجر من
حزامه وتبجر به بطنه ... »

ويسيلُ دَمٌ ،
وتُطلُّ امعاءٌ خبيثه ،
صفراء ، خالطها النجيع ،
كالافعوان الملتوي ،
يرتجُ من فأس هشوم .
وتقيءُ معدته كريهاً :
مَكَرونةً ، خمرا ، وقهوه
وفُتَاتَ خبز كالعجين
في الطين او ضمن الزُّبالهْ .
ولسانُهُ : هَتَرٌ ، وبُحَّهْ
كالابكم المحموم في حرِّ الهجيرهْ

(٢)

ويهولها المبجورُ ...

في الكوخ الحطيمْ
بين البقيّة من أثاثِ «الناقمه»
كان العدو بفأسِه وبحقدِه
قد حَطَّمَهْ
فتعيد فيه خنجره
في القلب... لا تمدو سواه

(٣)

ويهولها المجورُ في الكوخ الحطيم
فتهبُّ جاريةً تصيح:
«... شرفي - انا - بدم العدوِّ غسلتُه:
وسقيت من دمه السفيح
كوخي الحطيم
شرفي - انا - ان اقتُلَهْ،
ان ابجر البطَن العَفنْ
ويسيل دمْ
وتكون عقباه العدمْ
وتنوحُ أمٌّ في البعاد
وحيبةٌ ترجو لقاه
بَغنجاً له: ولرهطه

ولكلِّ طاغيةٍ ظَلوم ،
ولكل من سرق الشعوب
الحقَّ في هذى الحياةْ .
شرفي . . . غسلتُكَ بالدما :
بدماء هذا الكاسرِ
ونجيع هذا الغادرِ
طعناً لَه . . . ولرهطِهِ
إني انتقمتُ من اللعين
إني بدأت المعركَة
إني سأصعد للجبلْ
مَهدِ البطولةِ والخلودْ .
سأعود ،
سأعود يا كوخي الحطيم
وتضيءُ شمسُ الظافرين
في كلِّ مغربنا العظيم . . . »
وتهبُّ مسرعةً تقول :
« . . . نحوَ الجبل . . .
« . . . نحوَ البطولةِ والكفاحْ »

(٤)

ويصيحُ في الجندِ النفيرْ

(.. قُتِلَ الملازِمُ أنطُوانْ

قتل الملازم يـا جنودْ

قتلتْه تلك الهاربه

يا ويلها من فاجره

قتلته غدراً يا رفاقْ.

هيوا لنأخُذَ ثاره

مِن كُلِّ مَن في المنطقه...»

(٥)

ويصوِّبُ الجيشُ «العتيدُ» مدافعه

وقنــــابله

نحوَ الشيوخ المقعدين،

والعاجزات من النســـا

والصبية الاطهارِ

والغَنَمِ البريئه

(٦)

ويصيح « ابطال » الفراغ
بَعْدَ « الكفاحِ » المستميت :
(... نَمْ مطمئنًّا « انطوانْ »
إنّا فداؤك يا بَطَلْ
(خمسون) ثأرك انطوان ..
ويظل « أشجعهم » يقول :
(... لم أَلْقَ إلّا طفلتين
من بعد ما هَدمَ الرفاق
عشرين كوخاً او تزيد
يا ويلتَا
حظي نكيد ...)

الفجر الجديد

قصة بقلم أبو العيد دودو

يا امتي في ضباب الظلم موعدنا دعي السياط كما شاءت تبددنا
اقوى من الموت في لالائه غدنا

سليمان العيسي

تململ عباس في فراشه حين احس بانامل الشمس تفتل جبينه الاسمر ، وتمسح بعنقه وكتفه العاريين كانها تتمنى له صباحا سعيدا ، وتهيب به ان يستيقظ فقد حان موعد ذهابه الى الدائرة التي يقتل فيها يومه عن كره . حقا انه يريد ان ينهض ولكن سنة لا تزال تثقل جفنيه واحلام لذيذة لا تزال تدغدغ وجدانه . ثم ان روعة النوم تبلغ اوجها في لحظات الصباح . واعصابه لا تزال تعيش خدرا سمحا لينا !

وفتح عينيه وتلفت يبحث عن زوجه ، فلم يجدها راقدة الى جانبه . فاعتراه برود قاس ، واحتبست انفاسه في صدره ، وخيل اليه ان ضبابا قاتما يتمطى امام ناظريه . فدلكهما بابهاميه في شدة ، وتطلع في ساعته فوجدها تشير الى السادسة والنصف ، عجبا متى كانت زوجه تنهض قبله ؟ ودفع الغطاء عنه بسرعة ، وانتصب بقامته المديدة في وسط الغرفة يرتدي منامته وهو يوزع نظرات متسائلة هنا وهناك ثم خطا الى الغرفة المجاورة ، وفتح الباب وابتلع الغرفة بنظرة مستعجلة دون ان يلمح اثرا لها ، فوقف يفكر واصابعه تعبث بمقبض الباب في حركة عصبية ثم نادى بصوت مكتوم كاد ان يكون لا شعوريا :

ـ خضراء ... خضراء ...

واصغى بكل جوارحه فلم يسمع الا صدى صوته يئن بين الجدران ، انه لا يفهم كيف نهضت دون ان يحس بها ، والى اين ذهبت في هذه الساعة المبكرة ؟ وفكر انها قد تكون في الحديقة . فاندفع نحو النافذة وفتحها واخرج راسه منها وشمل الحديقة بنظرات ثاقبة . وبعد لحظة رأى شجرة التين تهتز وتعلو وتهبط في

حركات منتظمة . ورأى انامل بضة تنساب عبر الاغصان ملتقطة حبات التين في خفة ونشاط . وعندئذ شعر بروعه يهدأ . وبسكينة ساجية تداعب شغاف قلبه . وصاح بصوت فيه نبرة تتدفق حبا وحنانا :

ـ خضراء ... اين انت ؟

ـ صباح الخير .. انا هنا . لحظة .

كان سماع صوتها كفيلا بأن يعيد الى نفسه هدوءها وطمأنينتها . واجتاح الابعاد بنظرة طروبة . الشمس تعلو ببطء . والارض نشوى ترتعرش تحت النسمات الخريفية الحلوة . والعصافير تملأ الفضاء باهازيج سادرة . والاوراق الباهتة تحوم في الجو راقصة قبل ان تستقر على الارض . وهناك عند سفح الجبل يدب القطيع والرعاة خلفه تتعالى اصواتهم بالاناشيد . ومن حين لآخر ينطلق صوت شبابة يتعالى بانغام شجية تلامس القلب قبل ان تلامس السمع .

عاد الى غرفته واخذ يرتدي ملابسه . وفي ذلك الحين دخلت زوجه تحمل سلة التين . وافرغتها في اناء مملوء بالماء . فاقترب منها :

ـ يا حبيبتي .. خلت انني ساقضي عندما استيقظت ولم اجدك بجانبي . أريد ان تكوني دائما اول ما تقع عليه عيناي كل صباح .. آه .. ان حبي لك اقوى من الحب نفسه .

فابتسمت خضراء في حياء وخفر . إنها تخجل حين ينقط في سمعها مثل هذه الكلمات . لا تريد ان تراه هكذا ضعيفا امامها . تريده ان يكون رجلا صلبا . عنيدا . هي تعرف أنه يحبها حبا لا مزيد عليه . تستطيع ان تقرأ كل ذلك في نظراته . في خلجات شفتيه . في التعابير التي ترتسم على وجهه بوضوح تام . إن اعترافه بحبه لها يذهب شيئا من رجولته . ويسمها بالذل والخضوع .

واخذ يضمها الى صدره بعنف حتى ندت عنها صرخة مغناج . فدفعته عنها برفق وانصرفت تهيء له فطوره . فشيعها بنظرات والهة . ثم جلس يتصفح احدى الجرائد الصباحية . وعادت بعد قليل تحمل صحنا تقتعده شطيرة دسمة . فتناولها وشرع يقضمها في نهم .

ـ هم .. ما الذ الشطائر ! لا سيما اذا كانت من صنع يديك .

ورمقته خضراء بنظرة حنونة :

ـ عليك ان تسرع .. يا زوجي الحبيب . فلم يبق ثمة وقت .

ـ آه .. كم اكره الساعات التي اقضيها في الدائرة ! اود لو أستطيع أن اكرس حياتي كلها من اجلك .. من اجلك وحدك .

وضحكت وهي تقول :

ـ الا تعتقد ان الساعات التي تتعذب فيها من اجلي ايضا ؟ .

صحيح . ولكنني اريدها ان تكون بقربك . يكفيني ان اكون الى جانبك لا حمل جبلا فوق كاهلي . انها ساعات قاسية اشعر فيها بانني انهار امام طوفان الملل . ان اللحظات الزمنية تنعدم عند ما نجلس الى من نحب لتعيش بدلها الذكريات والاحلام والرؤى الفاغمة .

فقالت وهي تنظف سترته :

ـ اعرف انك تحب ان تفلسف كل شيء . ولكن لاتنس ان ثمة اشياء تستعصي على الفلسفة . ويكفي ان يحسها لا اكثر . فالضلال كثيرا ما يعترينا عندما نحاول فلسفة شعورنا نحو قضية ما . فالفلسفة تتطلب دائما ادخال عناصر جديدة في الموضوع قد تضبب الهدف وتزرع حوله شكوكا ما . اضف الى ذلك ان ليس كل موضوع يحتاج الى طرق باب الفلسفة . فكلما عاش المرء صحيحة الواقع ابتعد عن الفلسفة واكثر الناس اعتناء بالفلسفة هم اولئك الذين لم يذوقوا طعم السياط . او الذين ذاقوه وكانت لهم فلسفة تبرر استسلامهم وخضوعهم .

واخذ عباس يضحك بصوت عال وهو يدغدغ ذقنها .

ـ الآن اصبحت لا افهمك يا عزيزتي .

فصفعته على خده مداعبة وهي تقول :

ـ وهل تظنني افهم نفسي ؟

وضحكا معا . ثم انصرف في حين بقيت هي منشغلة بتنظيف الغرف وترتيبها كانت خضراء تتمتع بثقافة ممتازة . لذلك كان عباس يحبها من كل قلبه . اذ من النادر ان يجد مثلها في بلاده التي تعوي فيها الامية في كل ركن من اركانها واشد ما كان يخافه هو ان يفقدها . ان تضيع منه . لهذا كان يحرص عليها اكثر

من حرصه على نفسه . فهو لم يعرف حياة الاستقرار الا عند ما تزوجها قبل ثلاثة اشهر بعد عودته من باريس بمدة قليلة . والحق انه لم يكن يعيش معها كزوجة بل كصديقة لا اكثر . كان يريد ببساطة ان يخلق عالما يكونانهما شمسه وارضه . بعيدين عن كل ما تمور به بلدهما من اضطرابات واهتزازات . كان يعتقد ان بوسعه ان يفعل شيئا من هذا القبيل . ولكن خضراء لم تكن تشاركه في رايه ذاك . وكم من مرة دخلت معه في نقاش حول هذا الموضوع . قالت له ذات يوم :

- ترى من يجيب لهذه الاهتزازات ويكتب شعاراتها بدمائه اذا لم نستجب لها نحن المثقفين .

فأجابها قائلا :

- ولكن هذا لا يعني ان علينا جميعا ان نشارك فيها . فقد يكون اولئك الذين قاموا بها في غنى عنا .

فردت عليه بقولها :

- ان الذين قاموا بها ليسوا افرادا معينين . هناك شعب يريد أن يتحرر . ان الجماهير المجاهدة هي التي تحرز النصر . وما علينا نحن الا ان نكون في الطليعة لنرسم الخطوط ونضع الاهداف ونفتح باب الاستشهاد . الا تتمنى ان تموت وصخور بلادك تشتهي ان ترتوي من دمائك التي وهبتها في سبيل اسعاد الملايين لتحتفظ بها للاجيال الصاعدة .

لم تكن خضراء تشك في وطنية زوجها . كما انها لم تكن تتهمه بالجبن . كانت تريد فقط ان تبين له عن طريق التلميح ان وراءه واجبا مقدسا عليه ان يقوم به . تريد ان تبين له ان الوطنية كلمة جامدة ما لم تكتسب صفة التحقيق الفعلي . وان الحب وسيلة لا غاية . وسيلة تتحول الى طاقة ضخمة ساعة القيام بالواجب المقدس . ولم يفت عباس ان يدرك ما كانت تريده زوجه منه . ولكنه كان خائفا عليها ان تتعرض لعذاب ما ان هو ابتعد عنها لا سيما وان منزله يكاد يكون منعزلا . فقد كان مقتنعا بانها هي الاخرى تحبه كانسان عينيها . ومع ذلك فقد حدث شيء لم يكن في حسبانه . ففي احدى الامسيات عندما كان عائدا الى

البيت . رأى زوجه عن بعد تطل من الباب وتنظر يمنة ويسرة ثم تغيب . وبعد حين رأى رجلا يرتدي بدلة خضراء يخرج من البيت بسرعة ويختفي في احدى المنعطفات . فشعر بجدار كبير ينهد في اعماقه . ومد يده يشد صدره لكيلا ينفجر . ثم تناول رأسه بين يديه وهو يكاد يسقط من شدة الصدمة . . هذه حبيبته . . زوجته تخونه مع غريب ! يا للهول ! يا للفظاعة . واخذ يجر رجليه جرا الى ان وصل . فاستقبلته باسمة على عادتها . ولكنه صرخ في وجهها:

ـ يا ملعونة ! اغربي عن وجهي . لاذبحنك ان وجدتك في بيتي عندما اعود .

وابتعد عنها . . ابتعد مسرعا . يكاد يتحسس طريقه كالاعمى . واسرعت خضراء خلفه صائحة .

ـ عباس . . . عباس . . . ما ذا بك ؟ !

ولكنه لم يلتفت اليها . بل تابع طريقه دونما اي اهتمام بها . فوقفت جامدة تلاحقه بنظراتها وقد استبدت بها حيرة غريبة . لاول مرة في حياتها الزوجية تراه غاضبا تتدفق من عينيه نيران محمومة . واذا كان قد لمح الرجل الذي غادرها قبل حين ، فانها قد اسرعت تستقبله لتروي له ما حدث على حقيقته . غير انه لم يجد عليها حتى بنظرة احتقار . فماذا كان بوسعها ان تفعل اكثر مما فعلت ؟ ومع انها كانت مقتنعة بانه لن يتجاسر على ماهددها به فقد قررت ان تذهب الى بيت ابيها لمدة معينة .

اما هو فقد ذهب والالم يعصر قلبه . والعذاب ياكل احشاءه . وجلس في مقهى يشرب كازوزة مثلجة ويمسح حبات عرق تفصدت من جبينه واتخذت طريقها لتستريح فوق شاربه الكثيف . وعاد بعد وهن من الليل ليعيش اقصى حادثة مرت في حياته . وما كاد يجتاز عتبة الباب حتى شعر ان بيته قد تحول الى مقبرة رهيبة تجوس زواياها اشباح الموتى وكان شبح زوجه يتنقل مع نظراته عبر الجدران . انه لا يكاد يصدق ان زوجه قد خانته . . قد حطمت سعادته وهناءه . لم يدر بخلده يوما ان شيئا من هذا النوع سوف يحدث له .

وفجأة لاحظ انها لم تأخذ ملابسها معها فقفز الى دولاب ملابسها وفتحه فوجد كل شيء على حاله . هذه فساتينها . هذه كتبها العزيزة عليها . هذه حقيبتها الصفراء . كل ذلك لم تأخذه معها . اذن لقد ذهبت على امل ان تعود اليه

بعد ان تهدأ سورة غضبه ، وتنطفىء نار هيجانه ، لتشرح له الحقيقة ، وتروي له القصة بحذافيرها ، وتوضح له ان ظنونه كانت في غير محله . وانه ارتكب خطيئة فاحشة باتهامه اياها . ولكنه لا يرى ضرورة كل هذا . يكفيه برهانا أنه رأى الرجل يترك منزله في عجلة . فلماذا تريد ان تريه وجهها مرة اخرى ؟ انه لا يريد ان يراها لا يريد ان يشم رائحتها . تلك الرائحة التي طالما اسكرته وطارت به في آفاق وآفاق . وتمنى لو انه مات قبل ان يمر بتجربة كهذه . وقفزت الى ذهنه كلمة قرأها مرة لا ندرى مورو ا : « ان الحب يحتمل الموت اكثر مما يحتمل الغدر والخيانة » . حقا لو انها ماتت لكان الامر اهون عليه . ويقدر أن يعيش على ذكراها . والآن يعيش على ذكر الخيانة والغدر ؟ ! . وتذكر الايام السعيدة التي قضاها الى جانبها ، حين كانا يجلسان في الحديقة ، في ايام القيظ . وهي تنشده اروع الاشعار التي كانت تحفظها عن ظهر قلب . وتتغنى بقصيدة « اسطورة المروحة » للشاعر ابو القاسم سعد الله . ثم تحاول ان تبين له ما تتضمنه تلك القصيدة من ثورة ، في وطنية عارمة تهيج حتى عروق الاشجار والصخور ، وتحلل له عناصر التجربة التي تغذى منها الشاعر ، والحوافز التي حدت به الى ان ينطق ، ان يعبر عن شيء يمور به كيان الشعب . وكم كان الاسف يعضه بانياب غليظة . لانه لا يحسن لغته ، ولا يستطيع ان يدرك روعة شعر كهذا وقيمته! تذكر هذا كله فاخذ يبكي والصمت والليل يبكيان معه .

وطلع به النهار دون أن يعرف طعم النوم . فقرر أن يذهب الى أبيها ليشكو له حاله مع ابنته . فاليوم عطلة . فلماذا لا يذهب اليه . . بل اليها ليعرف السبب الذي دفعها الى خيانته ؟ فنهض . وبعد ان اغتسل ، مشى الى دولاب ملابسه وفتحه . كان يريد ان يتناول بدلته الخضراء . ولكنه لم يعثر عليها . فاخذ يقلب الغرفة بحثا عنها بدون جدوى ثم وقف يفكر اين يمكن ان تكون ؟ وطال به التفكير ولكن بدون جدوى ايضا . واخيرا تذكر الرجل . انه ليذكر بوضوح ان الغريب كان يرتدي بدلة خضراء . إذن ، فالبدلة لم تكن الا بدلته هو ! يا لهول المصيبة ! زوجه تخونه ! وزيادة على ذلك تقدم ملابسه هدية الى عشيقها! وحاول ان يعرف حقيقة سلوكها هذا . فاعياه التفكير ان يتوصل الى نتيجة ما . فبدأ يلعنها ، ويلعن البدلة ويلعن الظروف التي ساقته اليها . ولم يبق له إلا ان ينساها ، ان يلفظها من رأسه . ولكن انى له ذلك وكل شيء هنا يذكره بابتسامتها . بعينيها . بقوامها البديع . بكلماتها المنغومة .

وامتنع في اليوم الثاني عن الذهاب الى الدائرة . وما الفائدة من ذلك ؟ انه يريد ان يهرب من هنا . الى مكان ما . حيث لا ذكريات ولا حب ولا عذاب ولا ألم . وانتظر الى ان يهبط الظلام ليصعد الى الجبل . فهناك سينسى كل ما حدث له . والاعمال التي سيقوم بها سوف لا تدع له مجالا للتفكير في ذلك .

ودس مسدسه في جيبه . ونزل الدرج بسرعة . وقفل الباب خلفه، واخفى المفتاح في جيب سرواله . ثم عبر الحديقة وهو يلقي عليها نظرات الوداع . ولكن مفاجأة كانت تنتظره عند الباب الخارجي . فقد رأى شخصا واقفا ينتظره خارج السياج . ولما اقترب منه عرفه . إنه الرجل الذي رآه يغادر منزله قبل يومين . نه هو بعينه . جاء مرة اخرى الى زوجه ليقضي معها اوقات سعيدة . هانئة .

كان الرجل شابا تدل ملامحه على انه في الخامسة والعشرين من عمره . طويل القامة . عريض الجبهة . تشع عيناه ببريق متطلع . وكان يتأبط علبة كبيرة . ونظر اليه عباس مستغربا . ما الذي جاء به الى هنا . وما يريد ؟ وبعد ان حياه الشاب في ادب قدم اليه العلبة . فسأله دون ان يمد يده لاخذها منه :

- ما هذا ؟

فقال الشاب باسما :

- بدلتك .

- بدلتي ! ومن اين جاءت اليك ؟

فنظر اليه الشاب مستغربا :

- عفوا . . ظننت أنك تعلم بانني استعرتها من زوجتك . ألم تخبرك بذلك ؟

- لا . . ولكني افتقدتها اليوم .

- اليست امرأتك في البيت ؟

- لا . . ولكن قل لي بربك . كيف اخذت بدلتي من زوجتي ؟ .

قال عباس ذلك وهو يحاول ان يبدو طبيعيا . ويمسك اعصابه حتى لا ينفجر .

فاجابه الشاب في هدوء :

لقد القيت قنبلة في مقهى يرتاده الجنود . ثم فررت . ولو لم تخفني زوجتك لالقي علي القبض . فقد تبعني بعض الجنود الى هنا .

وفي هذه اللحظة تذكر عباس أنه التقى ببعض الجنود في ذلك اليوم وهو

عائد الى البيت . وتطلعوا فيه كثيرا . وقد علم من نظراتهم انهم يبحثون عن شيء ما . عن احد الهاربين منهم . وما اسرع ما مضى الشاب يطري زوجته امامه ويمدح شهامتها ووطنيتها الصادقة . واخلاصها لبلادها . وروى له كيف أنها اشارت عليه ان يرتدي بدلة زوجها . اذ من الممكن ان يكون الجنود قد رأوه وهو هارب واستطاعوا ان يعينوا بعض الدلائل التي تهديهم الى معرفة الشخص المجهول الذي كانه .

لم يكن من العسير على عباس ان يقرأ لهجة الصدق في حديث الشاب . ولذلك شعر لاول وهلة بالاحتقار لنفسه . وبانه يتصاغر حتى لا يكاد يرى ذاته . وجعل يعض اصابعه ندما . كيف غاب عنه ان يفكر في حادثة كهذه خاصة وان الظروف لم تكن طبيعية في بلاده في يوم ما ؟ كيف اباح لنفسه ان يشك في زوجته ويتهمها بالخيانة والغدر ؟ أحول زوجة كهذه تحوم شكوكه وظنونه؟ يجب ان يعترف انه قد أخطأ في حقها. انه قد وسمها بشيء هي براء منه.

وادخل الشاب الى بيته. وشرع يعترف له بانه قد ارتكب خطا كبيرا في حق زوجته . وانه قد طردها دون ان يتحرى معرفة الحقيقة منها . وكان من جراء الخيانة المزعومة انه قرر ان يصعد الى الجبل لينساها هناك . . لينتزعها من قلبه انتزاعا ويضرب في دنيا الكفاح . ويعيش غيبوبة النضال . وانه لن يرتد عما قرره على الرغم من ظهور براءة زوجته . ولكنه لابد ان يراها قبل ان يصعد . لا بد ان يطلب منها الصفح والغفران . لا بد ان يتزود بنظرة منها قبل ان يغدو مجاهدا يشد على معوله بكلتا يديه. ويرى الدماء تغطي دروبه وتسقي شجرة حريته

وطلب من الشاب ان ينتظره ريثما يعود . واسرع الى بيت صهره . يبحث عن زوجته ليلقي بنفسه عند قدميها راجيا منها الرحمة والمغفرة . واستقبله صهره مرحبا به :

- اهلا عباس . كيف حالك .

- الحمد لله . يا ابي

- هل حدث شيء عندكم ؟

وساله عباس في لهفة :

- اين خضراء ؟ اين هي ؟ . لا بد ان اتكلم معها .

فنظر اليه صهره متعجبا :

- اليست في البيت ؟

- ابدا . . لقد جاءت الى عندكم قبل يومين

- حقا لقد جاءت ولكنها لم تبت عندنا . لقد طلبنا منها ذلك . ولكنها امتنعت وقالت بانها لم تستاذنك في المبيت .

وكاد ان يطير عقله عند سماعه هذا الخبر . انها ليست في دار ابيها . فاين تكون اذن؟

واخيرا هداه فكره الى مكان وجودها . انها هناك .. هناك في الجبل . ومد يده يصافح صهره في غبطة .

اعرف أين اجدها .. وداعا يا ابي ..

- مع السلامة يا بني .

ورجع عباس الى البيت فوجد الشاب ينتظره. فقاما وخرجا معا ، وعندالباب قال له عباس في عجلة :

- انا صاعد الى الجبل هل تصعد معي ؟

- لا استطيع .. لا استطيع ابدا .

- ولماذا ؟

- ان مهمتي هنا في المدينة وليست في الجبل .

- اذن انت فدائي .. سدد الله خطاك يا اخي سنلتقي عند الفجر الجديد .

- ذلك ما تهدف اليه ارادتنا يا اخي

وتعانقا . لقد كان ثمة شيء عظيم عظيم يشد قلب احدهما الى قلب الآخر . ثمة شيء يجعلهما ينظران في اتجاه واحد ويحسان شعورا واحدا يفيض ويفيض حتى يبلغ تلك الهالة المتدلية على سفح الافق .

وسار عباس في فيض من النجوم يحيل الليل نهارا . وفي سيل من الاحساسات الرائعة ، سيل ينسيه ان خطواته تلامس الارض ، وان التعب يدب في اوصاله ، كان يحس ان ارضه قد غدت نجمة تشارك النجوم في احتفالاتها عند مقدم كل ليل وترسل اشعتها الباهرة لتنير العالم .. لتريه ان وجودها امر فعلي لا ينكر .

وما كان يجتاز احد الشعاب حتى لمح ثلاثة جنود .. فحاول ان يتبين غيرهم . ولكن عينيه لم تقعا على احد آخر . وشعر بالخوف . واخرج مسدسه. لابد انهم بعض جنود الدخيل الضالين . ولابد ان يلتقطهم واحدا واحدا قبل ان يكتشفوه ويسددوا اليه رصاصات بغيضة تخترق جسده حتى يصير كالغربال . واخذ يلاحقهم مستترا خلف الاشجار والاكمات . كان الجنود الثلاثة يسيرون في صمت . وقد تبين له انهم مسلحون . وبالاضافة الى ذلك كانوا يحملون شيئا ما . وفجأة سمعهم يتكلمون . فاصغى اليهم . وبعد حين وضح له انهم يتكلمون لغته . فازداد اقترابا منهم وسمع احدهم يقول :

ـ ان طريقة فرارنا من الجيش كانت عجيبة ، أليس كذلك يا اخوان !

فاجاب آخر

ـ حقا . . ان فكرة احمد كانت بارعة .

واسرع عباس يلحقهم ، اذ هم ليسوا جنودا ضالين كما ظنهم ، بل هم اخوان له ، يريدون ان يلتحقوا بقافلة التحرير ، وصاح :

ـ انتظروني يا اخواني . .

فالتفتوا جميعا في آن واحد ، ووقفوا مندهشين لهذا الصوت الغريب يندفع من خلفهم من بين الاشجار الباسقة ، وسألوه :

ـ مـاذا تريد ؟!

ـ اريد ان اصعد الى الجبل معكم ، يا اخواني !

ومد يده يصافحهم واحدا واحدا ، وكأنه يعرفهم من مدة طويلة ، كانت وجوههم الحبيبة تطفح بالبشر وهم يصافحونه بدورهم ، بل يعانقونه استجابة لمشاعر ساحرة ، ورموا في يده السلاح ليشاركهم في الحمل ، فالاسلحة والقنابل التي اخذوها معهم كانت ثقيلة عليهم ، ثم ساروا في صمت ، وكان كل واحد منهم يسمع افكار الآخر وهي تضطرم في رأسه ، وبعد مضي ثلاث ساعات وصلوا الى معقل المجاهدين ، وعندئذ احس كل واحد منهم انه يعانق ارضه ، انه قمر يقبل ارضه باشعته الوهاجة .

واحس عباس بالفخر وهو يرتدي بزته العسكرية ويحمل بندقيته فوق كتفه ويسير برفقة اخوانه جنبا الى جنب وخطوة خطوة ، ولكن فكرة حبيبته ، فكرة زوجته خضراء لم تفارقه ابدا . انه يريد أن يراها ، يريد ان تراه وهو يسير في صفوف اشبال بلاده العظيمة ، وكان كلما رأى مجاهدة ظنها هي ، كانت تخيل له بكل مكان ، كان يراها تحمل بندقيتها باعتزاز تماما مثله هو ، وبدأ تجربته في المعركة منذ صبيحة اليوم الثاني ، وتوالت عليه الايام وصورة زوجته تسير الى جانبه . . تحمل معه البندقية وتفرغها في جوف اعداء بلاده .

وجرح في احدى المعارك ، اصيب بجرح في كتفه ، فحمل الى مستشفى الجيش ، حمل في حالة اغماء ، وعندما مرت فترة الالم ، عاد اليه وعيه ، وفتح عينيه فرأى وجها حبيبا يحنو عليه ، فعاد واغمضهما ، انه يحلم فقط ، انها صورة حبيبته تتراءى له كما تراءت من قبل ، ولكنه سرعان ما شعر حقا بيد ناعمة تمسح جبينه في لطف ، وانتفض في فراشه :

ـ خضراء ! انت . . . انت . . سامح . . .

واراد ان يتكلم ، ولكنها منعته عن الحديث بقبلتها العزيزة ، ومد يديه ببطء يضمها الى صدره في نشوة وكانه يضم الفجر الجديد .

زاد المجاهد

بقلم جواد صيداوي

بندقيــة
عذبة الصوت وفية
وزهور سرقت لون الشفاه القرمزية
جمعتها يد امي من روابينا النديـة
وكتاب ضم اشعار « اراغوان » الابية
عند ما داست فرنسا الجزمات الهتلريــة
وقميص حيك من نور العيون العسلية
في ليــالي قريتي بعـد العشيـة
وابتسامات صغــاري
تبتغي مني هـديـة
... مــن جبــالي
وتنــاديني بومضــات حيية
« لا تعد ان انت لم تحمل هدية »
فيضيء الدرب قدامي ويشــدو :
« قد عقدنــا العزم ان تحيا الجزائر »
ويرف النرجس الغافي وينهض
ويذيب الفجر في قلبي شعــاعه
ويمد الجبل الشــامخ كالام ذراعـه
وبرفق نشر الصبح شراعه
في ضلــوعي

في شغـاف الامل المورق في دفق النجـيع
فاذا الازمان تطوى كلها في بضع سـاعه
في ابتسـامه
في نشيد نسج المجد كلامه
في هتافات الرفاق
في العنـاق
في رفيف الانـطلاق
نحو سـاحي
حيث يجنى غدنا البكر هديـة
لصغـاري
ولا يتـام الضحايا
من رفـاقي
من جنود الغزو اعداء دياري

❀ ❀ ❀

ايـه يـا « اوراس » يا ورد البطولـة
يا رسوخ الحق يـا مهد « جميـلـة »
قد أتيناـك لنجني ..
من سنى فجرك احـلام الطفولـة ...

أضواء من نافذة التاريخ على نضال الجزائر

بقلم يحيى أبو عزيز الجزائري

ان تاريخ الجزائر العربية المسلمة مليء بالاحداث الجسام .. والخطوب الشداد التي ارتبطت بحياة الشعب الجزائري البطل قرونا واجيالا : صور من البطولة الرائعة .. ومغامرات تاريخية من النضال المتواصل في ميادين الاستشهاد وساحات الشرف . لكأن شعب الجزائر العربي المسلم لم يخلق الا للكفاح والجهاد ... ولكأن أرض الجزائر العربية لم توجد الا لتحتدم على اديمها معارك الكرامة .. وثورات الفداء .. وانتفاضات الحرية والاستقلال .

ومرد هذا اساسا في نظري يرجع الى عاملين اثنين وظاهرتين اساسيتين : اولاهما صعوبة طبيعة البلاد الجيولوجية التي استعصت على كل الغزاة الذين حاولوا احتلالها بما توفر فيها من جبال شاهقة حصينة .. وغابات كثيرة كثيفة ... وشعاب وتلول فسيحة منيعة مع اتساع مساحة البلاد التي تبلغ مليونين وربع المليون من الكيلومترات المربعة انتشر فيها جميعها السكان بشكل حال دون مطامع الغزاة الاستعماريين .

والظاهرة الثانية - والاهم - صلابة السكان واستماتتهم في الدفاع والمقاومة التي اصبحت جزءا من دمائهم فطروا عليها ودربوا حتى صارت عادة تتبع لديهم جيلا بعد جيل وكان لها اثرها الفعال في النضال الجزائري حتى يومنا هذا ... على ان سمات الجزائري نفسها وطباعه واعصابه كلها تنبض بالروح الثورية النضالية وتتقد بالحماس الوطني حتى لكانه صنع من عجين الثورة .. وقد من وقود الديناميت . ولهذا ليس عجيبا ان نراه اليوم يهز العالم هزا ويرجه باعماله الثورية وحربه التحريرية .. ويهدم كيان فرنسا واقتصادها .. ويدمر اهدافها العسكرية ؛ فتاريخ الجزائر العربية المسلمة تاريخ مجد وحضارة سطره يراع النضال بدماء شهداء الشعب .

لقد عاش شعب الجزائر يجاهد حكم فينيقية . . وسيطرة قرطاجنة . . واستعمار روما اللاتينية . . وغارات الوندال والاسبان . . وغزوات الروم البيزنطيين . . وعاش يقاوم كل من تسول له نفسه الاعتداء على سيادة بلاده وكرامة وطنه . وهكذا دواليك الى ان جاء الفتح العربي عام ٥٠ هـ . فرحب به وبالدين الاسلامي الجديد الوافد الذي اصبح له من ذلك اليوم دينا وعقيدة وقومية ويعتز به لانه حرره من ظلمات الوثنية . . واخرجه من دياجير الجهل والضلالة الى عالم النور والاشراق في ظل عقيدة التوحيد .

وهكذا استطاع شعب الجزائر بعد كل هذا ان ينشىء له دولة جزائرية حرة مستقلة هي : « الدولة الرستمية » اسسها القاضي عبد الرحمن بن رستم عام ١٦٩ هـ ودامت ١٣٥ عاما تحت حكم ستة من الايمة .

ثم ساهم شعب الجزائر في تاسيس « الدولة الفاطمية » التي وحدت المغرب كله تحت راية واحدة . وحدث عند انتقالها الى القاهرة ان تكونت دولة جزائرية مستقلة عنها هي : « دولة بني حماد » عام ٣٩٨ هـ . انشأت لها عاصمة جديدة اسمها « القلعة » لا تزال آثارها الى الان . وعاشت هذه الدولة تحت حكم تسعة من الملوك في ظل حضارة علمية وازدهار اقتصادي ١٧١ عاما واستطاعت الاتصال بدول اوروبا والتعامل معها سياسيا وتجاريا . ولعب اسطولها الضخم دورا هاما في التجارة البحرية العالمية آنذاك .

وفي اواخر عهدها ساهم شعب الجزائر في انشاء « الدولة الموحدية » حتى اذا افل نجمها قامت « دولة بني زيان » الجزائرية بمدينة تلمسان عام ٦٢٧ هـ بقيادة زعيم قبيلة بني عبد الواد تحت ستار سيادة الموحدين ثم استقل بها الزعيم الجزائري « يا غمراسن » عام ٦٣٣ هـ فعم الازدهار والرخاء . ولكن غارات الاسبان والبرتغال على الساحل الجزائري ما فتئت تسبب في كثير من الاضطرابات وفي نفس الوقت دب الضعف في حكام دولة بني زيان مما جعل الشعب لا يطمئن على حال فرأى ان يستنجد بالبطلين العظيمين : بابا عروج . . وخير الدين باشا بربروس اللذين كانا على راس عمارة بحرية تركية في حوض البحر الابيض المتوسط الغربي يعملان تطوعا في انقاذ مهاجري عرب الاندلس الى افريقيا . فانجداه وحاربا معه جنبا الى جنب حتى طهروا البلاد ودفعوا عنها خطر الاستعمار

الاسباني . فكان ذلك من عوامل سقوط الدولة الزيانية في النهاية ودافعا للشعب في نفس الوقت على ان ينتخب ويختار خير الدين بربروس ليحكم البلاد بعد وفاة شقيقه عروج وذلك عام ١٥١٩ .

ومهما يكن فان الشعب الجزائري منذ فجر القرن ١٦ وبالضبط عام ١٥١٥ كون لنفسه دولة حرة مستقلة ذات سيادة كاملة .. وذات جيش قوي واسطول ضخم له السيادة المطلقة في حوض المتوسط .. ومنذ هذا التاريخ ايضا اصبحت دولة الجزائر الحرة هدفا لسهام الدول الاوروبية التي كانت تهدف الى استغلال ثروات بلادها المعدنية والزراعية والحيوانية .. وتسعى بالتالي الى تحطيم شوكة اسطولها البحري الذي كان يحسب له الف حساب في ذلك العهد .. والذي كان يضم ما لا يقل عن (٢٢٠) سفينة حربية يركبها ما يربو عن (٣٠) الف جندي بكل منها ما بين (٢٥) و (٨٠) مدفعا - ظل يسيطر على البحر المتوسط حتى عام ١٨٢٧ حيث تحطم معظمه في معركة « نافارين » الشهيرة .

فقد حاولت اسبانيا - المنتشية بالنصر على عرب الاندلس - غزو الجزائر بأسطولها ولكنها ارتدت مندحرة عن الجزائر العاصمة اربع مرات . ثلاث في القرن ١٦ والرابعة في النصف الثاني من القرن ١٨ .

وطمعت البرتغال والدانمارك في غزو الجزائر واحتلالها فانهزمتا . وهاجم الاسطول الانجليزي الساحل الجزائري في ٢ فبراير ١٨٢٤ فدامت الحرب ١٧ يوما ارتد بعدها مهزوما . ولم تكن فرنسا بأقل خيبة وانكسارا فقد هاجم امبراطورها شارل الخامس عاصمة الجزائر في اكتوبر ١٥٤١ بـ (٥٠٠) سفينة حربية و (٤) آلاف جندي وحاصرها مغتنما فرصة غياب الاسطول الموسمي في مياه القسطنطينية كعادته في كل شهر اكتوبر . ولكن عاصفة هوجاء وسيولا جارفة من المياه فاجأت العدو واغرقت له مائة سفينة وعطبت الباقي فساعد ذلك قوات الشعب على ان توقع به هزيمة نكراء فر على اثرها شارل ببعض فلوله مهزوما مخذولا .

وحاولت فرنسا مرتين بعد ذلك غزو الجزائر دون جدوى . اولاهما عام ١٦٨٢ بقيادة الجنرال « ديكسن » والاخرى عام ١٦٨٨ بقيادة المارشال « استري » .

وفي غمار هذه الاحداث وتلك الخطوب كانت الدولة الجزائرية الحرة تربط علاقاتها الديبلوماسية وتبرم معاهدات الصداقة مع دول اوروبا بعد أن تنضوت تحت لواء الخلافة العثمانية عام ١٥٨٧ واتصلت بها اتصالا روحيا أكثر منه زمنيا .

ففي عام ١٦٨٢ وقعت بريطانيا معاهدة صداقة مع حكومة الجزائر الحرة، وعلى غرارها فعلت بلجيكا. .وهولندا. .والدانمارك. .ومملكة البندقية. وفي عام ١٧٧٦ اعترفت حكومة الجزائر بالولايات المتحدة .
وفي فبراير عام ١٧٩٥ تم التوقيع بينهما على معاهدة سلام وصداقة من اهم بنودها :

بند - ٢ - للسفن الامريكية ان تتاجر مع الولاية (الجزائر) على اساس رسوم قمركية معلومة تستثنى منها المهمات البحرية والحربية .

بند - ٤ - تحصل القطع البحرية الجزائرية على جوازات سفر تسلم لها بواسطة قنصل الولايات المتحدة .

بند - ٩ - تستقبل قطع الاسطول الامريكي في الجزائر بطرق الضيافة المعهودة .

بند - ١٥ - يفصل الداي في المنازعات التي تنشأ بين الجزائريين والامركان . ويفصل القنصل فيما ينشأ بين الامركان بعضهم مع البعض .

بند - ١٧ - يتمتع القنصل بامن كامل وحرية مطلقة في اقامة شعائره الدينية والابحار على اية باخرة راسية في مياه الولاية .

بند - ٢٢ - في حال النزاع لا تعلن الحرب الا اذا استنفدت جميع وسائل التوفيق أولا . اما فرنسا فبمقتضى اول معاهدة ابرمتها مع حكومة الجزائر استنجد بها مليكها فرنسوا الاول مرتين : اولاهما عام ١٥٣٦ .. والثانية عام ١٥٤٣ طالبا معاونة الاسطول الجزائري لدفع عدوان شرلكان الاسباني على ساحل فرنسا الجنوبي .

وبمقتضى نفس المعاهدة طلب هنري الرابع مليكها ايضا نجدة الاسطول الجزائري عام ١٥٩٣ من اجل تحرير مدينة مرسيليا وشاطىء فرنسا الجنوبي من ايدي الاسبان والهيجنوت .

وفي عام ١٥٦١ اعربت فرنسا لحكومة الجزائر عن رغبتها في ربط علاقات ديبلوماسية معها .

وفي عام ١٥٦٣ وصلت اول بعثة لها سياسية الى الجزائر العاصمة .

وفي عام ١٧٨٩ اعترفت حكومة الجزائر الحرة الرشيدة بحكومة الثورة الفرنسية . وعلى اثر ثورة عام ١٧٨٩ هذه اصيبت فرنسا بانهيار اقتصادي . . وبمسغبة ومجاعة قاسية فمدت لها الجزائر يد العون بسخاء رغم دسائس اعدائها كما اكد ذلك داي الجزائر نفسه في مكتوب وجهه آنذاك الى الحكومة الفرنسية قال فيه : « إننا بالرغم من دسائس الانجليز المستترة وراء حجاب الصداقة . . وبالرغم من ضغطهم لالغاء المعاهدات منتهزين فرصة ارتباك فرنسا في محنتها وحروبها المتوالية فاننا لم نستجب لهم ورأينا ان نمد لكم يد العون لنقدم لكم دليلا جديدا على كرم اخلاقنا ونبيل عواطفنا نحوكم » .

ترى كيف عاملت فرنسا اصدقاءها الخلص؟ وكيف تقبلت هذا المعروف الانساني الخالد في احلك ظروفها؟ انها قابلت الجميل بالعقوق يوم ان حاولت التنصل من اداء ما عليها من الديون التي بلغت ٢٤ مليونا من الفرنكات الذهبية . . ثم باختلاق حادث « المنشة » المفتعل الذي جعلت منه سببا مباشرا لتوجيه حملة حربية لاحتلال الجزائر قوامها : (١٠٣) سفينة حربية و (٣) آلاف مدفع و (٣٤) الف مقاتل و (٣٨٣) سفينة اخرى لحمل المؤن والذخائر - نزلت بجزيرة سيدي فرج يوم ١٦ يونيو ١٨٣٠ ثم في العاصمة يوم ٥ يوليو ١٨٣٠ .

والواقع ان حادث المروحة المفتعل - على فرض صحته - لم يكن السبب المباشر لانه كما قال المستر مترنيخ السياسي النمساوي آنذاك : « لا يمكن ان يصرف المرء مائة مليون فرنك وان يعرض حياة (٤٠) الف جندي للخطر من اجل ضربة منشة » . ولكن الدافع الحقيقي لاحتلال الجزائر هو ما قاله شارل العاشر من : « انشاء مستعمرة هامة في شمال افريقيا » . . وما قاله الجنرال جرار وزير الحربية من : « ان الغزو إنما يرجع الى ضرورات بالغة الاهمية متصلة اوثق الاتصال بحفظ النظام العام في فرنسا وفي اوروبا . تلك الضرورات هي : فتح آفاق للفائض من عدد سكاننا ومبادلة منتجات مصانعنا بمنتجات اخرى غريبة عن ارضنا وعن جو بلادنا » . يضاف الى هذا ان فرنسا منذ عهد نابليون

كانت تمتلك خريطة عسكرية هامة للقطر الجزائري تبين حصونها وقلاعها ومسالكها مما يؤكد ان احتلالها للجزائر إنما كان لاغراض عسكرية الى جانب الاغراض السياسية والاقتصادية .

وهكذا ومنذ تاريخ ٥ يوليو ١٨٣٠ بدأ نضال الشعب الجزائري يتخذ اشكالا وطرقا متنوعة في سبيل هدف واحد : هو اجلاء جيش الاحتلال الغاصب واسترداد سيادة الوطن وكرامته، فبدأت الاحداث تشتد والثورات تترى وتتوالى: فكانت ثورة الناحية الشرقية (قسنطينة) بقيادة الحاج احمد باشا باي قسنطينة التي استمرت حتى عام ١٨٣٨ .

وكانت ثورة الامير عبد القادر في الناحيتين : الوسطى والغربية ، التي دامت ١٧ عاما اي حتى عام ١٨٤٧ .

وكانت ثورة أهالي « واحة الزعاطشة » بالجنوب الجزائري عام ١٨٤٩ بقيادة الزعيم ابوزيان .

وكانت ثورة الاغواط فيما بين عامي: ٥١ - ١٨٥٢ التي هدم فيها الاستعمار ما يزيد عن (٣٠٠) قرية .

وكانت ثورة القبائل الصغرى في ما بين عامي : ٥٣-١٨٥٤ . . وثورة القبائل الكبرى عام ١٨٥٧ التي كانت بداية لثورات وانتفاضات اخرى في جبال الجرجرة

وكانت ثورة بني سنا سن عام ١٨٥٩ . . وثورة بني سيف .

وكانت ثورة اولاد سيدي الشيخ عام ١٨٦٤ بزعامة الباش آغا سليمان بن حمزة بن بوبكر في الجنوب الغربي .

وكانت ثورة مارس الكبرى عام ١٨٧١ بقيادة الزعيم القائد الحاج احمد المقراني ومساعدة الشيخ محمد بن الحداد التي انطلقت من بلدة مجانه الى بجاية شمالا وبرج ابي عريريج وسطيف شرقا . . والى سهول متيجه حتى حدود العاصمة غربا وقد استشهد فيها حوالي (٦٠) الفا من الاحرار الكبار منهم والصغار

وكانت ثورة السيد محمد البدوي في قلب العاصمة وما حواليها .

وكانت ثورة الاوراسيين قبل ذلك عام ١٨٥٣ .

وكانت ثورة ٨ ماي ١٩٤٥ التي لا يجهل احد امرها والتي استشهد فيها ٤٥ الف من الابرياء الاحرار .

وكانت اخيرا ثورة الشعب الكبرى ،ثورة اول نوفمبر ١٩٥٤ . تلك الثورة الانشائية الخالدة التي وقف فيها عشرة ملايين مناضل من احرار الجزائر - هم كل سكانها - صفا واحدا وراء جيشهم التحريري البطل وجبهتهم العتيدة وادوا يمينا بارة في ساحة الشرف والاستشهاد على الا يضعوا السلاح الا على اعتاب النصر و ناصية الاستقلال .

وليس من شك في ان ثورة اول نوفمبر ١٩٥٤ لها طابعها الخاص الذي يختلف عن اشكال ما سبق من الحركات الثورية وذلك تبعا لظروف العصر ومكيفاته المادية .. ومن هذه تصميم الثورة على افتكاك استقلال الشعب من جيش الاحتلال باي ثمن خصوصا وقد توفرت الاسباب وتظافرت العوامل لذلك كما ذكرها اول منشور لجبهة التحرير في اوائل نوفمبر ١٩٥٤ اذ قال :

« اننا نعتبر قبل كل شيء ان الحركة الوطنية قد دخلت مرحلتها النهائية بعد مراحل طويلة مرت . ذلك ان هدف الحركة الوطنية قد توفرت الآن جميع شروطه المرضية التي تيسر لهذه الحركة ان تشن الحملة التحريرية . ونحن نرى ان الشعب تحت ضوء ظروفه الداخلية قد اصبح متحدا وراء فكرة الاستقلال والعمل . وانه تحت ظروفه الخارجية قد بلغ مرحلة مرضية لحل المشاكل الصغرى التي من بينها مشكلة بلادنا وذلك بفضل المساعدة السياسية التي يبذلها لنا اخواننا العرب والمسلمون » .

وعلى كل فان الشعب الجزائري البطل قد صمم على ان يفكك الاغلال الاستعمارية ويحطم سلاسل العبودية بالحديد والنار بغية اعادة بناء صرح تاريخه من جديد ولكي يستعيد مجده وعزه وسيادته التي طالما عمل لها اجداده وسعى اليها اباؤه .. ورنا نحوها ابناؤه .

ولم يكن لديه في بداية الجولة سوى ايمانه بالنصر ووثوقه بالنجاح فصمد للاحداث والصدمات .. وقاوم المؤامرات وسياسة التضليل .. وجاهد جيش الاحتلال المعتدي في الميدان .. وتابع نشاطه التحريري في الجبال والتلول .. والمدن والقرى .. والعروش والارياف .. وخاض غمار معارك تاريخية بعزم صمود وبسالة رائعة يحدوه في ذلك ضميره الثائر .. وتاريخه المناضل كي يحرر ارض الوطن من الاجنبي الدخيل الذي جثم عليها وعلى خيراتها ومواردها

وكل مقوماتها .. السياسية .. والاقتصادية .. والاجتماعية .. والتاريخية .. والتشريعية .. والثقافية وغيرها .

فكانت ثورة اول نوفمبر ١٩٥٤ بداية عهد جديد يعتبر نقطة التحول من حكم الهيمنة الرجعية الاستعمارية الى سياسة الترشيد والاعتراف قسرا بحقوق الشعب في السيادة والاستقلال .

وليس خفيا ان المغرب العربي يمثل وحدة متماسكة في الدين والتاريخ .. والجغرافية والعقيدة .. واللغة والتقاليد .. ومن ثم يمثل وحدة صلبة لا تنفصم عراها في النضال والكفاح . وعلى هذا الاساس كانت الاحداث تؤثر عليه كله عندما تحدث في اي جزء منه . والذي يستقصي اعماق التاريخ وحوادثه يجد ان السلم يستتب في ربوع المغرب العربي كله عندما يكون موحدا متكاتفا .. وان الاضطرابات والفتن .. والحروب والدماء .. والاهوال والمصائب تعمه كله عندما ينقسم على نفسه ويجد التخاذل والتفرقة سبيلهما الى اجزائه . وهو ما حدث فعلا عام ١٨٣٠ عندما اعتدت فرنسا على ارض الجزائر وشعبها .. ذلك انه بينما قبع باي تونس - لا شعبها - في قصره دون ان ينهض لمساعدة القلب الدامي الجريح - ولعله لم يبلغه الخبر اصلا - بينما كان هذا من باي تونس عمد سلطان مراكش عبد الرحمان بن هشام تحت تهديد الفرنسيين الى تجهيز جيش عرمرم قوامه (٥٠) الف مقاتل لمحاربة رائد المقاومة الجزائرية الاول ورجلها البطل الامير عبد القادر المجاهد فكانت النكبة السوداء وحدثت الواقعة الحمراء على المتخاذلين انفسهم عندما افترسهم جيش الاحتلال واكلهم لقمة سائغة . فاحتل تونس عام ١٨٨١ بحجة استرداد الامن الى ربوعها .. واحتل مراكش عام ١٩١٢ بحجة حمايتها من العدوان والغارات الاجنبية .

وهكذا فقد المغرب العربي كله سيادته في اقل من قرن من الزمن نتيجة التخاذل والانقسام الذي حدث في اجزائه .. ومن المؤكد انه لو توحدت جبهة الكفاح عام ١٨٣٠ ما حدث ذلك ابدا ..

على ان كل هذا لم يحل دون رجوع هذه الوحدة الى مجراها الطبيعي .. ولا يزال المغرب العربي كله يجاهد من اجل استقلاله واستقراره وازدهاره في ظل السلام والرفاهية .

ان يوم ١٩ سبتمبر ١٩٥٨ الذي بعثت فيه اول حكومة حرة للجمهورية الجزائرية هو يوم وقفت فيه عقارب التاريخ تستوحي بطولة شعب الجزائر العربي المسلم. وتستلهم تاريخه وامجاده البطولية.. وانتصاراته التاريخية العجيبة وهو ينضم الى موكب قافلة التحرر بعد طول النضال ومشاق الطريق.

ففي هذا اليوم التاريخي الخالد اعلن شعب الجزائر المناضل نهاية الاحتلال المطرود.. وبداية الحكم الوطني الخالد الذي افتداه بآلام شيبه.. ودماء شبابه.. ودموع عجزه.. ويتم اطفاله.. وهدم قراه.. وحرق مداشره.. وتحطيم امكانياته المادية عامة.

وفي هذا اليوم اذن بشير النصر بأفول عهد سيطرة الاستعمار المهزوم وغروب يومه الى غير رجعة بعد كفاح شاق مرير طوال قرن و (٣٠) عاما قدم فيه شعب الجزائر المكافح الصامد ما لا يقل عن مليون من النفوس البريئة والارواح الشهيدة قربانا للفداء.. وضحية للسيادة والاستقلال.

ان يوم ١٩ سبتمبر ١٩٥٨ يوم خالد في تاريخ نضال الشعب الجزائري اقتعدت فيه حكومته الحرة مكانها اللائق بها في مصاف الدول الحرة المستقلة.. واستردت سيادتها الطبيعية التي سلبها منها الاستعمار الفرنسي منذ عام ١٨٣٠.

اجل: هذه هي، الجزائر العربية المسلمة تمثل اليوم عصارة النضال المقدس ولسان حالها يشدو:

لا يخيف الشعوب قهر ظلوم	ويخيف الطغاة شعب جسور
إنما الشعب في الملمات زحف	هل رأيت البركان كيف تثور

المغرب الكبير

بقلم محمد بوزيدي

ته في السماء فما للعز ارضاء ... الا العلا وعلاك اليوم جوزاء
وارفع جبينك يا ابن المجد مفتخرا ... فمجدك الفرد لا تعلوه علياء
خضبت الدماء بآساد مخضبة ... حتى اتتك بتاج النصر حمراء
حمراء قد سقيت بالمهج سائلة ... فاضت بها من صدور الشعب ابناء
وغسلت تربه فاخضر مربعه ... فكل فخز به الايام غناء
هات النشيد ودعني لا اردده ... الا انتصارا له في الكون اصداء
المغرب العربي اليوم منبعها ... وقد سقاها وفي التاريخ أنباء
صرنا جميعا ، فهل كنا به شيعا ... وهل يقال باننا فيه اعداء ؟
دين وجنس وجنات مزخرفة ... عشنا عليها كما عاش الاشقاء
منذ القديم فما يخشى تفرقنا ... وقد صمدنا وفي الاوطان نكباء
سل ماسنيسا وسل سيفاكس عن شرف ... لا زال فيه الى الاجيال ايحاء
وسل يغرطة يوم الروم من ملكت ... يمناه سيفا به الاعداء اشلاء
وسل عريننا به في الطود كاهنة ... اوراس منها على الاطواد طغراء
المغرب العربي الدهر متحد ... وارضعته من الاسلام سمحاء
ما زيغ اشرف اصلا وهو من عرب ... كفاه فخرا له العربان آباء
هذا الشمال وتاريخي اشهده ... عزي وتربي ومني الروح افداء
هو الفخار اذا ما شئت مفخرة ... وللعصور اذا ما عنه اطراء
نحن المغاربة الاقحاح كم سرجت ... لنا الجياد بها لليل لا لآء
وكم سيوف لنا في خصمنا ثملت ... من الدماء بها الغبراء دأماء

وكم سفين لنا للبحر يمخره ... ترتج منه بذاك البحر ارجاء
به رجعنا وللاعداء حشرجة ... فوق العباب وللحيتان نعماء
لنا المهاري يوم الحرب نركبها ... لا عن سواها تقد الدهر صحراء
بها الرمال لحاظ الخصم تفقؤها ... وقد جبلنا فما للعين ايذاء
نلنا المعالي فلا فخر يطاولنا ... على الزمان ولا في العز علواء
ان قيس مجد واخلاق مشرفة ... فللجميع لنا في الكف ايماء
اذا نهضنا فللايام مفخرة ... وان نطقنا فللايام اصغاء
وان جلسنا اقمنا الحق محكمة ... وان ركبنا فللغبراء ارواء
وللشمال علينا كل تضحية ... وكل غال له ان ريع افداء
طوى العصور فتوحات مظفرة ... بها الجدود على الازمان احياء
من توج الدهر حتى لا يقارنه ... نجم الثريا ولا في العز زهراء
ومن له منشآت البحر مسبحة ... فوق العباب لها في المجد ارساء
من علم الدهر ثورات مخالدة ... على الطغاة لها في الكون اصداء
بها الشمال على الايام منفرد ... نور الى النور أنوار واضواء
وسل زياداً وسيف الله في يده ... يوم الفتوح به الاسبان افياء
بنى الحضارة تخليدا ومفخرة ... لم يبنها في عصور الدهر بناء
خط الشريعة اضواء باندلس ... لا زال فيها بتلك الدار سيماء

❀ ❀ ❀

وانظر الينا وركب النصر رائدنا ... وللشمال على الاعداء علواء
رفت بتونس اعلام مخضبة ... بكل قان له من الشعب ابلاء
مرفوعة بيد الخضراء خافقة ... لله ما بلغت في الله خضراء
فاليوم ترفل والاجيال حافلة ... واليوم تحفل والايام اطراء
وفي حماها لخصم الشعب مقبرة ... وفي ثراها لخصم الدار ارزاء

وانظر الى المغرب الاقصى فكم ثملت ... منه العدى وبه في الحرب سكراء
ثارت له نخوة الاجداد صارخة ... فكل ثغربها في الشعب دواء
وفي الجزائر هالات مروعة ... تحار فيها عن الاوصاف اسماء
مذابح وابادات ومجزرة ... تهتز منها فتلك الدار غبراء
وفي الجزائر نيران محرقة ... وفرقعات بها الآذان صماء
والشعب يصمد لا تثني شكيمته ... مصفحات ولا للنصر ضراء
وسل فرنسا فكم ظلت بوارجها ... على الخضم بها الاصباح امساء
هل انجدتها وشعب الله يحصدها ... واين منها وهدم الشعب عنقاء
اوراس ثار فمن في الارض يقعده ... هيهات يرضخ او تثنيه ارزاء
كم ذبحتها سيوف الشعب لامعة ... بها العلوج بيوم الروع وجراء
وكم جيوش لها ولت مفزعة ... عند اللقاء لها الافكار بلهاء
والجرف سله ولا تسأل فرنسته ... فانها عن فعال الجرف خرساء
فلا تزال به العقبان حائمة ... والجرف للذئب قبل الصيد غذاء
تلك الصحاري هل الاعداء تدخلها ... فلا تغص بهم بالنتن بيداء
وفي الوهاد وحرب الشعب مفخرة ... بها التراب له من الموت انباء
وقد غنمنا بما ظلت فيالقنا ... تردي وتمحق والاعداء صماء

محمد بوزيدي

الوجود الأخصب

بقلم الجنيدي خليفة

مهداة الى أبطال غرة نوفمبر ١٩٥٤

هذا المقال محاولة طريفة يقوم بها أحد شباب شقيقتنا الجزائر المجاهدة ، لم يزل على « شفا جرف هار » كما يقول أبو حامد - لتفهم وضعه ، بل وضع الانسان ، في هذا الكون ، وتحسس الوجود الأخصب ، نبادر بنشره لما فيه من صدق في اللهجة وطرافة في التحليل « وحرارة » في اللهجة وحياة ، ونترك الحكم للقراء ليبدوا رأيهم في ما بسطه صاحب المقال من النظريات وانتهى إليه من النتائج ، تاركين له مسؤولية الاسلوب وتخير بعض الالفاظ واشتقاقها ... وأحيانا استقراء التاريخ .

« الفكر »

ان كان هناك من حنين ازلي فانما هو الى هذا النبع الذي ندعوه الحرية ويوم ان كان الجنس البشري مجرد نواة في ابينا آدم لم ياكل هذا من الثمرة المحرمة استجابة لحريته الفردية البحت ، لقد كان ذلك مصطفيا بكيفية ما بالوجود الانساني الكلي . والقصة الدينية تحدثنا بان ربه قد اجتباه وانه قد اناب واهتدى والواقع ان السماء اجدر من يتفهم ابانا المسكين ، ولقد سلمت فعلا باقرار صبغة شرعية للتجربة الاولى ، وذلك في الوقت الذي عبر فيه ابونا عن قدمه .

ذلك ان الندم ليس غير عجز يائس عن الاحاطة بالتجربة الكبرى ، وربما كان يظن ان اكله من الثمرة لجدير بملء وجوده المنهوم ، واذ تبين انه اعجز من ذلك استسلم الى كيفية اكثر عملية . فهو يقترن وينجب اولادا ، عسى ان يصل هؤلاء ، وما تسلسل منهم ! الى الاحاطة بالتجربة ، لقد انابنا عنه .

والقصة الدينية تقول ان الشجرة المحرمة كانت منتصبة بالجنة نفسها . فلماذا ؟ والواقع انها لو لم تكن هناك لكنا غير مهولين اصلا في ان نتصور ابانا في السماء تحت نوع من الاقامة الاجبارية .

لقد سوي كل شيء اذن وحل هذا التفاهم : السعي وراء ممارسة التجربة الكبرى لطبيعة ازلية لكل انسان .

ولكن اذا كان في التجاء آدم الى التناسل مبدأ للاحاطة فان فيه ايضا مبدأ

للتعويق : لقد كان واحدا فاصبح متعددا ، وكان يحمل الوجود الانساني الكلي ، فعاد هذا الوجود مقتسما بين الملايين من ابنائه ، فباتت هناك حدود تفصل بين كل فـرد وآخر الامر الذي يفقد سعينا الالتئام والتناسق فلا نظفر بمـلء وجـودنا الكلي وصحيح أني ورقة من الشجرة الكبرى ، ولكن ها ان مجرد شكلي ليملي علي نتائج انفصالية ، ومن شكلي تبرز ميزات خاصة قد تؤدي بي الى نسيان نياطي بالشجرة ! آدم ؟ لقد بعد العهد بيننا وبينه واصبحنا نتصرف في أماناته التي عهـد بها الينا كما لو كانت امرا شخصيا تماما . ولكننا مع ذلك لم نعدم تماما الشعور بان علينا امانة . لقد تهاونا بها وأهملنا متطلباتها تحت ضغط اجسامنا المقتطعة :

هل كان مما يلائم ابانا ان يتوسط لدى (خالقنا) فيصنعنا مجتمعين اجسادا مترابطين باعضاء بدنية ؟ الحق ان ذلك لا يفيد اذ يجعلنا في جانب واحد من التجربة ونكون عاجزين عن التوزع الضروري للاحاطة بها . مأساة هي وجودي الفردي وحنيني الازلي ! كيف السبيل الى القفز بهذا الجلد المفروض عليه العقوق والاتصال بالنبع الجياش !

يجب ان يكون ذلك بواسطة روحية ، بتحقيق وجود داخلي كلي ، لا ينكر الاجساد ولكن يتقلب على تعدديتها . يمر الافراد ولكن على انهم من ابوة واحـدة .

والواقع ان الطبيعة قد منحتنا القدرة على تحقيق ذلك ، واذا كانت تظـهر بطريقة عفوية في انواع من الغرائز فان في المستطاع تحقيقها في مجال غريزتـنا الكبرى ، العظمى : الانسانية .

ان الاتصال المتفاني بين المحب وحبيبه لكأنه اختصار لتعدد الكيان تحصيلا للوحدة ، لكأنه اختصار لنا في سبيل الوصول الى ادم واحد .

بيد أن ذلك يظل مجرد اتصال جزئي ومؤقت غالبا ، انه اتحاد اثنين لايلبث ان يعهـد بدوره مهمته الى الاقتران الجنسي . ومهما يكن فانه لدليل على تاصـل حنيننا الى الوحدة ، هذه التي تهبنا القدرة على ممارسة الحرية الكبرى ، ومن ثمة الدعوة الى اعادة المحاولة متجاوزين الطرق المسدودة .

نحن لا نستطيع ان نحيط منفردين بتجربة الوجود الاخصب ولكن الحنيـن الى ممارستهـا لمتاصل فينا فلا بد اذن من تفجير طاقة اعماقنا الهاجعة

واكثر من الحب الجنسي دلالة على التاصل في نشدان حريتنا هذه الظـاهرة التي نـرد بها كلما تلبسنا بمظنة عقوق ، هل لم تنتبه الى الرعشـة الازلية وقـد فاجات عريانا ؟ ان ذلك يمكن ان يفسر على انه رد فعل طبيعي ضد حصرك اياي

في مظهره الجسدي التعددي .

وها ان جمالا انسانيا ينتصب امامي الآن ، هو يتراءى لي في جسد ولكنه ليس جسدا هـذا الذي ارى اني لا استطيع ان احده بوضع يدي عليه ، انـه يهرب بي الى « ما وراء » كذاك العصفور الذي يضلل الاطفال ، الا انه عن الجسد يضللني ثم هو يهديني الى حيث النبع الدفاق .

غير ان الجمال ليس يتمتع به كل فرد حتى يقتصر عليه محقق وحـدة ومن ثمة متيح احاطة بالتجربة .

والحق ان مبادىء الروح قد تغلب عليها النجاح الآلي من العصر الحديث فازدادت بذلك مبادىء الفردية او الوحدوية المصطنعه المزيفـة قوة وتمركزا . فقد مضـت تلك العقلية التي كانت ترى في الجسد خادمـا ملعونا على الروح ان تظل تجلـده بسياط من الحرمـان ، في مقابل حيـاة اخرى ينسحق فيها الخادم اللعـين ويسود مولاه سيادة مطلقة ، وبدلا من ان تتـدارك الروح الاشواط التي قفزهـا الجسم بفضل العلم الحديث تركت نفسها تتخذل واصبحنا نسمع هذه الاجابات ، العقـل ؟ عصارة تفرزها خلايا الدماغ ، الوجدان ؟ انعكاسات مختزنة ، الانسان بالتالي حقيبة من العقد النفسية والاجهزة الآلية .

ولم يكن من الحق اصـلا ان يعتبر الجسد بذاته وضيـعا . وان يكـن هو المتسبب في التعددية . الا ان الخطأ لفي عدم مواجهة تعدديته بوحدة روحية تقيم التوازن في الانسان فيسعى متكاملا الى حياة خصبة حرة .

ولقد اخذ طليعة من اساطين العـلم الحديث يتنبهون الى خطأ السـبل التـي سلكتها الآلية المتحجرة والميكانيكية الضيقة ، الا ان ذلك لن يجعل الآلـة تكف الآن وفورا عن مواصلة اخضاع غالبية البشر الى اخلاقها البشعة .

وهذا ما يقتضينا ان ننظر في هذه الناحية نظرتنا الى واقع قـائم الذات ، اي اننا سنتتبع اولا كيف انهارت مبادىء « الروحية » تحت بريق الفولاذ . معتبرين ذلك كنتيجة حتمية تغلغلت فينا الى حد اكتسـابها نعت الحقيقة . ليس من المفيـد ان نغض النظر عن واقع الانسان العصري ولكن علينا أن نبحث له عن مخرج من خلال هذا الواقع بالذات .

احسب ان فكرة الله هي التي كانت محور الصراع بين الحضارة القديمة وهاته الحضارة الحديثة :

فقد كان الله في اعتقاد العصور ما قبل الصناعية مشرفا على الكون ومنظما لعلاقة الانسان بأخيه ، ان اعتديت علي فهو الذي يحكم بيننا ، واذا مرضت فهو يشفيني ، اذا اندلعت فوهات البراكين وزلزلت الارض فهو يحميني .... الانسان القديم مدلل من الله ، فليس عليه الا ان يطلب ليستجاب عاجلا او آجلا ، فهو لا يخبر ضرورة ملحة للقيام بتحقيق رابطة انسانية او مع الكون ما دام الله ذاته يغنيه عنها ، انه يعيش في امن وطمأنينة وليس له من حاجة لان يواجه مواجهة مباشرة لا الطبيعة ولا ابن جنسه ، وحتى عندما يفعل فانما بروح من اللاهوت . ويظهر هذا عندنا المسلمين في البسملة التي نبتديء بها خصوصا العمل العويص ، وعند المسيحيين يقوم الرسم الهوائي لعلامة الصليب - وغير ذلك من الاشارات المقاربة بنفس المهمة ، ونستطيع ان نوغل في القدم فتصح نفس الملاحظة على السحر وضروبه كوسيلة تغني عن مواجهة الانسان للطبيعة او اخيه .

فعندما تجفو جدي البعيد خليلته يكفيه - نفسيا - ان يدس في يد الكاهن أعطية . وعندما يشح النيل يرشى بتلك الفتاة الجميلة ، وهكذا فاننا لنرجو من الله نفسه حتى القيام بتسوية مع الحبيب ، فقط في مقابل حركة يسيرة لليد او اللسان

ربما كان الانسان الحديث يتمنى هو الآخر لو تجري الامور على مثل هذا المنوال الهين ، بل انه ليلتجيء بالفعل احيانا الى بعض الطقوس التي هي اقرب ما تكون الى السحريات والشطحات النفسية الا ان الفرق اساسي ، فبينما يفعل الانسان القديم ذلك مؤمنا به وبجدواه وفي حالة هدوء لا يلتجيء اليه هذا الا على انه تسلية اوأخذ بمنطق الاحتياط لو احتمل ان يكون للطقوس جدوى .

وسيطرة فكرة مواجهة الطبيعة هذه على الانسان هي التي قادته الى الثورة العلمية عموما والصناعية خصوصا فلم يعد هناك في نظره من اله اوسحر مستطيع التوسط بينهما لعلاقة جامعة ، فلا بد اذن من التعويل على وسائل انسانية جديدة .

وقد نجح الانسان فعلا في هذا الميدان اذ جعل العلم هو الرابطة بينه وبين الطبيعة ولكنه نسي او تناسى مهمة لا تقل اهمية ، انها الرابطة مع اخيه الانسان .

ومن هنا فقد كانت جهوده باعتبار الجنس مفككة ، وبعبارة اخرى لم يجد نفسه الا في حالة موزعة ليس لها ان تحيط بالتجربة الانسانية العظمى وتجربة الوجود الاخصب والحرية الشاملة .

الانسان العصري المبهور ببريق الفولاذ ! ياله من مخدوع مسكين ! لقد كان ينوي ان يسود فاذا هو ازاء ما صنعته يداه وفكره عقله عبد خاضع مهان لقد تخثرت انسانيته في جلده وتسطحت مبادىء الامانة الازلية على حدوده الفردية ! فالمهمة التي تنتظره الآن انما هي اولا وقبل كل شيء تحرير ما جمد فيه واطلاق أصالته الرازحة تحت الفولاذ ، ولكن بشرط ان لايفني في سبيل ذلك باي من تقدم في ميدان العلم . المسالة تنحصر في ان يكون اكثر علمية مما هو عليه الآن . وهو بالبداهة لا يحتاج حينئذ الى ان يعود الى سحريات وشطحات الماضي السعيد . لقد قلنا ان خطأه لا في كونه قد استعمل نظره ولكن في كونه لم يستعمل عينيه كلتيهما .

فلنحاول اذن ان نتصور منحى ادعى الى تحرير الجانب المجمد في الانسان ومتكاملا مع جهوده التي حققها حتى الآن غير منتصرين لمبادىء لا نرى من الضرورة الايمان بها دون تعويض .

وقد سبق ان اشرت الى ان علاقة الانسان بالطبيعة من جهة وعلاقته باخيه من اخرى لهي محور كل حضارة فمحاولتي متركزة على هذه الناحية .

الصفة الاولى للطبيعة هي مجهوليتها لدي ، اجنبيتها عني ، وبما ان فكرة «المشرف» قد سقطت من ايمان الانسان العصري ، فان تلك المجهولية لا يمكن ان تجعلني اترجى منها خيرا ، بل بالعكس هي تدعوني الى ان اسلك نحوها سلوكا مرتابا . لقد زالت الثقة وحل بدلها الحذر ، إن اصابني منها خير فلن انظر اليه إلا كحادثة جزئية من « مؤامرة كبرى » كلية ، لست ادري أموجهة الي توجيها ام انا مجرد عرضة في سبيلها ، ولكني لا اشك في ان وجودي مهدد بذلك في كل لحظة ، يكفي ان يحدث طيش في مدار احد الافلاك القريبة فتتحطم الارض ومن عليها ، يكفي ان ينزو اللهب المخزون في عناصرها فتصبح رمادا ، وهذا الى جانب الموت والحوادث الجزئية والحروب والاوبئة

والبرد والجفاف . . . فانا اذن لا استطيع كفرد ان اعيش وجودا ممتدا في الابدية لكون حياتي محدودة وعمري قصيرا ، وكل ما اعيشه هو هذا الوجود البسيط الممزق الساذج : فقد الطمئنان يختتم بالموت . فاين السبيل اذن الى تلك الحرية التي اخبر حنيني اليها ملتاعا احيانا ومرانا عليه غشاوة من ثقل جسدي احيانا اخرى ؟ كيف السبيل الى الاحاطة بتجربة ابينا آدم العظيمة ؟ .

ان ذلك يتطلب منا ان نحيا كفرد واحد وبسيطرة تامة على الطبيعة اي ان نبحث عن امكانية لممارسة حريتنا ممارسة مطلقة ومحيطة شاملة ، ان نملأ وجودنا الكلي بتعامل كوني تتحطم فيه المجهولية والعدائية فتسود الطمأنينة والوحدة ، تتحطم الحواجز ويتلاشى الزمكان ، لنتصل اذاك بالله او لنصبح نحن انفسنا إلها ، فهذه اللحظة لا تعرف تمايزا ولا تفريقا .

إلا ان درجتنا الحالية من التطور الجسد روحي (١) لا تسمح لنا ان نرى في لحظة كهذه - ما دمنا لم نصل بعد الى عيشها - سوى توقف عن الحياة ، ثم فكم يلزم من زمان على فرض الوصول الى الاقتراب منها ، بعد السيطرة التامة على الطبيعة وبعد تحقيق الوحدة الكبرى ؟ !

ولا تمتاز الطبيعة في مواجهتنا اياها دائما بصبغة واضحة ، فلئن كانت تكشف لنا عن نفسها سافرة في الكيان الجامد فهي كثيرا ما تندس في البنيان الحي ، في الانسان ذاته ، ولقد وجدت في اجسادنا كممتدة محسوسة وسيلة النفاذ فينا . . . ذلك انه في الوقت الذي يكتسب صراعنا ضدها صبغة تانيسية (٢) بما تنشره من حضورنا عليها وإحلال المعلومية بعد المجهولية يكتسي بالمثل سلوكها نحونا نزعة تطبيعية (٣) فهما ظلان متساقطان .

---

(١) القصد من تركيب الكلمتين هو اعطاء مفهوم متكامل عن طبيعة الجسد والروح . اذ أننا لا نعتقد بثنائية الانسان على الرغم من ان الملاحظ له لا يستطيع ان يجرد نظرته اليه من الثنائية فينبغي الا يفهم اذا نحن وصفنا الانسان بالجسدية او الروحية اننا في احداهما افردناه ، بل مجرد تناول جانب منه ،

(٢) اعني بالتانيس حركة الانسان الناشرة حضوره على الطبيعة التي هي الجماد والحيوان ايضا .

(٣) وبالتطبيع : العكس اي حركة الطبيعة في نشر حضورها على الانسان

ولكن بما ان حقيقتي ليست فقط فضائية ولا روحي مضـافا الى جسمي او هو مضاف اليها بل وجود يعاش من الداخل كعقل ، وجدان . . . ومن الخارج كصلابة وامتداد . . . فان تسرب الطبيعة الى مظهري يهددني كذلك في اعماقي، يهددني بان اغزى واسلب حقيقتي واصبح مجندا في طابورها الخامس ضد الانسان وهذا انتصار اولي للطبيعة علينا ، تعقبه انتصارات اوطد ، فبعد ان تكون نجحت في اقتطاعي من حظيرتي الاصلية بالطمس على روحياتي (من حمل امانة وسعي وراء التحرر المطلق) عن طريق جسدي واصبح اسلك سلوكا مماثلا في جوهره لاخلاقها . . . وبعد ان اكون قد جلت في حياتي المسطحة المتخثرة ما شاء ضعفي وغشاوتي معديا غيري تحت جلباب الانسانية الذي احمل من شكله وصفاته الظاهرية ما هو جدير بان يخدع ويغري . بعد كل ذلك تنتهي الطبيعة الى تحويلي تحويلا كليا الى حظيرتها واذا بي وقد مت جزء تماما مثل اي من اجزائها .

والحق اننا لا نفتأ نضفي متواصل الاهتمام في الكشف عن العدو المدسوس ليس فقط بما يبدو من سلوكنا الحذر ازاء غريب يحل بيننا ، ولكن حتى مع هؤلاء الذين نعاشرهم خصوصا عندما يأتون بحالات « مشبوهة » كأن من طبيعتنا الاساسية ان نظل نقوم بمراجعات للتثبت من «صفاء الجو الانساني » حولنا ،لنعرف ما اذا كنا فعلا ازاء « اكثر من الجانب الجسدي » البادي ، زيفا او اصالة .

يقول المثل : ان العين نافذة الروح . وذلك على مجازة معبر الى حد بعيد عن الحقيقة التي لا يمكن التعبير المباشر عنها ، فاذا كان جسدك قادرا على مغالطتي وتضليلي في معرفة اي الجنسين (الطبيعة او الانسان) انت ،فمهما فان عينيك لاقل من ذلك مقدرة وادعى الى الحكم القريب . ولهذا فاني اسائلهما بين الحين والحين وقد تذكرت - لا شعوريا ؟- العدو المدسوس ويغض مواجهي ربما لانه قدر امكانية كشفي عن طبيعته الممسوخ اليها فيغلق بذلك وسيلة المعرفة ، وقد يكون اغضاؤه رد فعل على اتهامي ناتجا عن براءته فلم ينو غير اخفاء الجانب الجسمي من عينيه بعد ان عجزت عن فهم بريقهما الانساني ، فكانه يدعوني الى امكانية اخرى للتعارف تكمن في ما وراء الجسد .

وانا ايضا انا الناظر ، مستهدف منه الى نفس « المراجعة » فهو الآخر مهتم بان

يعرف حقيقتي الباطنة ، ولكن بما اني قد سبقته فكانتي بالسبق قد اوهمته بان انسانيتي مفروغ من صحة اتصافي بها ، ولذلك فهو - عندما يـرد علي مبـاشرة بنظرة - اما ان يمر مطعونا بما اتهمته دون ان يقنعني بالبراءة واما ان ينظر الي نظرة رادعة ردعا وديا او مؤنبا .

وهذا كله بالنسبة الى البريء من المنظورين فاما الطبيعي المدسوس فغالبا لا ينزع الى الرد على تحديقي به ان كنت انا من قوة الماورائية(١) بحيث لايخطئني الناظر، وثمة فرق آخر : رد البريء يهدف الى اعادة الاتصال الروحاني المزعزع بالتعدد الجسدي بينما لا يهدف المزيف الا وراء الامعان في الغش والتزييف.

ومن هنا يمكن ان نضيف الى المثل السابق هذا التعليق وهـو ان العين فضلا عن كونها نافذة الروح لدليل على نشداننا الازلي لمبادىء الروح التي هي وحدة انسانية متحابة عالمة بحولة الطبيعة اليها (٢) .

على اني لا اعني ان العين لتوصلنا دائما الى حكم مصيب فعدونا له وسائل عديدة من التستر والخداع . فما هي اذن امكانيات هذا الانسان الممزق في ذات معسكره المهدد من محيطه الخارجي ؟ ما هي امكانياته في تجربة التحرر الكبرى وممارسة وجود اخصب .

ها هنا مفترق الطرق فاما ان استسلم ضعيفا وانساب كقشرة تافهة مواصلا الانهماك في جسديتي (٣)واكون بذلك قد انضممت الى الطبيعة(٤) واما ان اعود الى نفسي فافجر منها ينبوعا قويا دفاقا.

---

(١) استخدم هذا التعبير في الاشارة الى المبادىء الكامنة في الانسان من حنين الى الحرية والحب العام ونشر حضوره على الكون فهو معادل للروح دون ان اعتقد بما قد توحي به من غيبيات . . . وفي التعبير بالماورائية حسنة ليست توجد في الكلمة : الروح اذ ان هذه قد تفهم ايضا ثنائية في الانسان بينما « الماورائية » لا توحي بغير الجانب غير الجسدي من الانسان المتكامل . .

(٢) سنستعرض في صفحة تالية مزيد تفصيل .

(٣) ان الجسدية - الجانب الجسدي - هي التي تفرض التعدد ومـن ثمة فقد جعلناها في مقابل الروح او الماورائية طالما ان هذه وحدة انسانية وحب . . .

(٤) وبهذا يضاف الى مشمول تعريفنا السابق للطبيعة الانسان السالك سلوكا فرديا.

وفي الاتجاه الاول قد تقدم لنا الطبيعة جزاء الخيانة العوبة كنا رفضناها من قبل : دمية من سند منهار لاننا في هذه الحالةنكون من الضعف الداخلي بحيث لم نعد تقدر على مواجهة الطبيعة مواجهة مباشرة .

اما في الاتجاه الثاني فالامر مختلف تماما :

اعترف بان الطبيعة لا تقصدني قصدا لا يقبل الشك ، ولكن ذلك لا يغير من شعوري باني طرف ، هي تنال مني واذن فاني اهل لمصارعتها واني وجود تصطدم به . فلا ثبتن في الميدان ! ومهما تكن قوتي عندها ضعيفة فانها بنظري قوة جبارة ، ذلك اني لم استسلم لها بل بقيت محافظا على أصالتي كانسان ، صحراء ! هول ! بيد اني لم اسلك إلا سلوكا انسانيا، الشرف عندي افضل من المجد ، والمحبة خير من النعيم ... قد دعمت حريتي وحافظت على صميميتي فالعمل جزء من الغاية ولا بد اني واصل الى الانسان السائد الناشر حضوره . هذا الموقف تمليه علي كرامتي العميقة وشعوري الانساني الذي هو الا أخون ابدا مهما كان عدوي قويا ومهما صادفت في اخواني من تنكر واضطهاد . لقد اخترته تجاوبا مع اصالتي دون ان الزم به من اية سلطة خارجية فلا الخوف ولا الطمع بمخضعي ،إنه عهد قطعته على نفسي ، كلمة شرف افوه بها واعيا لموقفي ملتزما به ، إن شعاري لانا بالذات ، انا الانسان المحمل امانة الملتاع حنينا الى المحبة الشاملة والوحدة الكونية . لقد اصبحت أنفتي العظمى منبع كل قيمة ومقياس كل فكرة . لقد بدأت أذوق طعمها ، طعم وجودي الاخصب فهيهات ان اتخلى ، سابقا ربما كنت مشوبا في صميميتي فانا اعير الامور بالمنفعة وابحث عن تطرية جلدي ولكني الآن قد اكتشفت تساهلي المفرط إذ كنت استخدم المنطق في مهاجمة تلك الجلدية التعددية واني بالغت في انصاف الواقع حتى جاوزته ، اما الآن فاني الحقيقة ـ المنبع كل وجود مطبوع بي ، او ينبغي ، وكل اثر مبلل بعرقي ... ومهمتي بل صميميتي نفسها تقتضيني ان اعمل ابدا على بث وجودي ونشره على ربوع الكون كله .

❁❁❁

وبعد أفليس لنا ان نتساءل الآن عن المظهر العملي لذلكم العهد ، كيف السبيل الى التوفيق بين اصالتي ، حريتي ، وجودي الاخصب وبين جانبي الجسدي ، الفردي ، التعددي ؟ اذا كانت الطبيعة هي التي تمنعني من ممارسة حريتي فكيف

السبيل الى ان اعوقها بدوري ؟ لا سيما وانها ثاوية ايضا في ربع الانسان ، في جسده ! الوجود الانساني - كافراد منعزلين روحيا - مدسوس فهو مهدد ، واذن فلا بد قبل كل شيء من الخلاص من عدوة المرتدي زيه واذ ذاك يمكن التفرغ لمواجهة الطبيعة سافرة .

نعيد القول بان صفة الانسان الازلية ، ماهيته ، وجوده الاخصب لهي الوحدة ، وحيث إن ذلك اصله فانه ليس فقط من الممكن الوصول اليها بل وايضا يظل وجوده ناقصا ضامرا بدونها فلا امكانية والحالة هذه لاستيعاب تجربة الوجود الاخصب تلك التي رمزنا اليها صدر المقال بالقصة الدينية ، مهمة الطبيعة بالنسبة التي تتلخص في التاكيد على جلديتي دون روحي في الختم النهائي على حدودي الفردية ، اماتة حنيني الازلي (١) ، فلاعملن انا اذن على نشر حضوري عليها وتحويلها الي ، وذلك لا لمجرد المعاكسة بل ولاعيش امكانياتي الانسانية الخصبة ، فما هي قواعد المنطلق الاعظم ؟

صحيح ان الاله بمعناه التقليدي (٢) قد رفضه استيقاظ وعيي غير ان جوهر الوظيفة التي كان يفترض القيام بها لما نزل ضرورية الاشغال والواقع ان ما يرفضه الانسان العصري ليس الا اشغالها من اجنبي ، من غير الانسان، وبعبارة

(١) هذا بالضبط ما يقوم به الاستعمار : فنشاطه منصب على عزل الشعب الخاضع من نشدانه نشر حضوره على الطبيعة فهو يكبل امكانياته بنشر البغضاء والقضاء على اللغة والتراث القومي واخضاع الافراد الى الجري وراء مطالبهم الجسدية ، الاجتماعات محرمة . والاتصال بالاوطان المتحررة خطر ماحق ، وفي الاستعمار الفرنسي بالجزائر نجد فصل الملكية الجماعية التي كانت قائمة قبله مثلا محسوسا على تمزيق حلقة من حلقات الوحدة الانسانية، ان هذا لهو عمل الطبيعة بواسطة الانسان المزيف ، ولذلك كان اول واجب على الشعوب الخاضعة ان تقوم بالثورة - التي هي كما سأشير في صفحة ثانية - نموذج نشر الحضور الانساني .

(٢) نحن لا ننكر الاله ، ولكننا ندعو الى الاتكال على نفوسنا ، واذ ذاك يبتدي، يوجد فينا الايمان به، فمن هذه الناحية يمكن ان نقول إن الايمان الصحيح لا يوجد دفعة واحدة ولا في عصر بعده عصور . بل كلما بذلنا حركتنا على الطبيعة كلما نما فينا واقتربنا من الكائن المتفوق كما سألمح الى ذلك .

اخرى لم يكن رفضه الاله الا بسبب اجنبيته ، ومعناه ان التأكيد على الانسان كمنبع لكل قيمة ليحتل اولية الحقائق ، بيد ان هذه الحقيقة - اعني الرفض - وان تكن منطقية فهي لم تستخلص الا عبر تجارب ذاتية من اعتداد انساني، وخيبة في السند الالهي ومعاناة لازمة الحضارة الحالية . . . فهي حقيقة لا تفرض الاجماع قبل تكوين حاسة لتذوقها ، ولكن الايمان بالاله التقليدي ليس ايضا اجماعيا ، لقد حدث انشقاق حوله فلا بد من البحث عن رابطة مشتركة .

انا (١) قد شاهدت موت ابينا الحامي لنا ولكن اخوتي المغمورين بخور مخدر يأبون على الاعتراف ، العالية متأصلة فيهم لتربيتهم المدللة فهم قاصرون ، ولو انهم بلغوا الرشد لانتهى الشقاق وضممنا يدا الى يد حارتين الارض . . .

ولكنني انا الذي وعيت موت الاب الحامي ليغمرني نحوهم شعور كان في الماضي عليه هو مضفى لو كان معترفا بموته اجماعيا فان شعوري يعطى صبغة العقد فأما وهذه الحالة فانه التزام . وهكذا ينبع الحب وبه اعيد ربط العلاقة التي مزقتها خلافاتنا حوله . انك قد لا تشاركني في معتقدي الرافض ولكنك لا تستطيع منعي من ان احبك ، ان الحب اعظم قوة يمارسها الانسان لو ما ذلك الا لكونه منا نابعا والينا يعود ، الحب دليل آخر على ان الانسان هو مصدر كل حقيقية .

ومن جانبك انت غير الرافض فلا بد ان يعديك حبي اياك فتجاوبني وتشع علي كما اشع عليك ، وان لم اكن لاشترط ابدا التعاوض . . . وهكذا يبتدىء الحب يحل محل الاله كسند ورابطة بين الانسان وأخيه وذلك لما يحقق من الوحدة الصميمية الاصيلة الشريفة .

بيد ان الحب وحده لا يكفي لملء الوظيفة الآلهية ، اذ تبقى الوصلة مع سائر الكون ، صحيح ان الواجهة المجابهة للطبيعة قد اصبحت له موحدة الامر الذي يهيء للاحاطة بتجربة الوجود الاخصب ، تجربة نشر حضورنا عليها ولكن ذلك يبقى مجرد تهيئة علينا اذن ان نقوم بالعمل الذي تتيحه الوحدة . ذلك ان

---

(١) يجب الا يغرب عن البال اني لا استعمل ضمير الافراد في هذا الموضع وغيره من المقال الا لتسهيل التحليل والا فهو ضمير « نحن » اي الانسان العصري الممزق بين واقعه ومثله ، الانسان الذي يريد ان ينطلق باغلاله واثقاله حيث امتنع عليه الآن التخلص منها .

الاله كان يربط لا بيننا فحسب ولكن بيننا وبين الطبيعة ايضا وقد رفضه الانسان الحديث اعتدادا باصالته وبقي عليه ان يعوضه في هذه الناحية كما في الاخرى

وهنا يجدر ان نوضح نقطة هامة : من وجهة نظر الطبيعة ان جائز ان نستعيرها لمجرد الايضاح - لا مانع من افتراض انها هي الاخرى لتسلك سلوكا وحدويا كونيا بحيث ان غايتها تنتهي بانتفاء الحدود بينها وبين الانسان ذاته وحلول « واحد » محلنا جميعا وذلك يعني وجود كينونة من وراء اصطراع الطبيعة والانسان يمكن نعتها بـ « المتفوق » (١) من صفاتها ان يزول في ذروة تطورها الانسان والطبيعة كلاهما .

فباستعارة عقلية«طبيعية» كهذه يمكننا ان نوسع معنى الحب فننقله من داخل الانسانية الى الطبيعة ويكون مضمونه هو صراعنا القائم معها . اي نشر الحضور فتتحقق به علاقتنا مع الطبيعة .

ولكن يجب الا نتمادى في الاستعارة اكثر فما دمنا الانسان فانه يستحيل علينا ان نكون الطبيعة وان نتعقل « وجهة نظرها » ، ان وجودي مهدد بها وانا عرضة لها واصالتي تابى علي البقاء في وجود ناقص والاستسلام لها . ولكن من الحق ايضا ان ننبه الى ان ما عسى ان يشتم من عدائية في الصراع ليس غير ضرورة من ضرورات التعبير .

وكما ان الحب مبني على قابليتنا الانسانية فان العلاقة التي ستربطنا بالطبيعة لا بد ان تكون مقتعدة على قابلية مشتركة بيننا وبينها ، وقد اشرت من قبل الى ان الجسم هو منطقة الطبيعة فينا او انقل متاثرين باحداث السياسة : قاعدتها المنتصبة فينا ، ولكن بما ان الجسم ليس معزولا عني انا الانسان بل هو من الخصائص المكون لحقيقتي فانه يمكن ايضا اعتباره « قاعدتنا» في الطبيعة. فالجسم اذن هو المبدا

---

(١) يحمل هذا الاشتقاق معنى الصفة المطلقة بحيث يفهم التفوق لا على انه حاصل في المستقبل فحسب او الحاضر والماضي بل في كل ذلك . انها بعبارة اخرى تطور ، الا اني اخترت التفوق لاشعاره اكثر بالتداني من الغاية الكونية والمتفوق يمكن ان يجد فيه الخائفون من فقد الاله اله ناشطا متكاملا، فيه من اصل الانسانية الطبيعية بما لا يمس كرامتنا الاعمق ....

المشترك لتعاملنا مع الطبيعة تعاملا اصطراعيا . ولكن هذا الجسم يجب ان يعمل عملا متسما به لكي يملا المبدا ويحقق الاتصال . وهنا نجد انفسنا على ابواب (الجهد) العضلي الجسمي صفة عامة فرباطي بالطبيعة هو العرق الارادي . فهو في مجال علاقة الانسان بالطبيعة يقابل الحب في علاقته بأخيه .

وبذل الجهد يعطي هذا التحليل الاولي : مقاومة وشعور بها ، المقاومة هي الطبيعة والجانب الطبيعي من جسمي ، ولكن الشعور بما انه غير فضائي وغير زماني فانه انا اعني مني انا المغمور بحب الانسان والغامر اياه بحبي واذن فالجهد اكون قد انخرطت في ممارسة تجربة الوجود الاخصب : انسان يحول الطبيعة اليه .

ولكن الجهد لكي يتيح حقا نشر حضور الانسان على الطبيعة لا بد من اتصافه بالمعرفة ، معرفة الخطط التي تسلكها الطبيعة ونظام تحركها وكيفيته وليس ما يتيح ذلك مثل الخبرة التي يكتسبها الانسان في صراعه نحوها الواعي لجسمه ولوحدته ، وما ذلك غير العلم .

بهذه اللحمة المتكاملة من الحب والجهد والعلم ثالوث التانيس (١) الاعظم نتصل باعماق الوجود وندخل في ممارسة خصبة لحريتنا الازلية الجذور صاعدين نحو تحقيق (المتفوق) ذروة الحياة .

❁ ❁ ❁

اراني انتهيت الآن من محاولة اعطاء فكرة ادبية - فلسفية عن الوجود الاخصب وبقي ان ننظر في علاقته بالثورة حسبما النعت في العنوان .

والواقع ان الكلمة الثورة قد استعملت في اكثر من مدلول واحد فهناك المسلحة والعملية والصناعية ... ودون ان المح الى كل منها على حدة اكتفي بالاشارة الى علاقة الاولى ناصا على انها جميعا اشكال من محاولة الانسان تانيس الطبيعة .

موضوع الثورة المسلحة (اي ما ثارت ضده) هو الطبيعة في رداء الانسان

---

(١) تحدثت عن هذا الثالوث في مقال بمجلة الآداب البيروتية تحت عنوان رسالة من سجين جزائري عدد فيفري ١٩٥٨ .

المزيف العامل على تخثيرنا في جسدنا والختم النهائي على روحنا (مبادىء التانيس) واذن فان عملي انا الثائر يتلخص بدوره في انتزاعي من هذا المزيف الثوب الذي يغالطني به تطهيرا (للجو الانساني) وتفرغا للصراع المباشر ضد الطبيعة بجبهة سليمة غير مغشوشه ولكن بما ان اكتشافي اياه منتحلا لم استطع التعبير عنه بحيث ادل جميع الناس عليه فيسلكون نحوه سلوكهم مع الطبيعة فاني التجيء الى تمحيضه في الطبيعة . ولكن اولا يوهم هذا بالدعوة الى ترك الجزاء الى اجتهاد شخصي والى الابعاد من حظيرة الانسان بدل الادناء ؟

الواقع ان التجميد او «التطبيع» لا يقوم ضد شخص باعتباره فردا كما انه لا يصدر من الانسان المزيف باعتباره جزءا مستقلا عن اشباهه ، بل هناك ممثلون لاخلاق الطبيعة ضد اخلاق الانسان ، وهذا يوضح ان الثورة لا يمكن ان تصدق في عمل ضد فرد باعتباره كذلك ، وإنما ضد شخص ممثل لنظام ، وانها لذلك لا بد ان تكون شعبية المنبع انسانية المصب .

ومن الطريف ان نجد التدليسية في الانسان المزيف تواجه في الثورة بالاسلوب السري : هو يوهمني بانه انسان فلأوهمنه باني طبيعة ، وهذا ما يشاهد في الكمائن والهجمات الفجائية واستخدام العناصر الوطنية تحت التظاهر بالولاء الى الاستعمار وغير ذلك من الاساليب الثورية الصميمة .

وبهذا ننتهي الى ان الثورة المسلحة ما دامت تهدف الى نشر الحضور الانساني وممارسة الوجود الاخصب مبتدئة بتحديد الانسان المزيف ومنتهية الى (المتفوق) فلا بد ان تكون ممتلئة علما وحبا وعملا .

فان تعيش يا أخي ثائرا فذلك يعني انك تعيش وجودك الاخصب .

تنبيه :

وردت في اول هذا المقال اغلاط مطبعية نصوبها كما يلي :

الخطا	الصواب	الصفحة	السطر
قدمه	ندمة	٤٧	٦
يتقلب	يتغلب	٤٨	١٥
يمر	يقر	٤٨	١٥

إلى أين ؟..

بقلم رزق سابا

ما كل من حمل القيد بريء .. ولا كل من وطيء سجنا بمجرم ..

ما كل من تبختر شامخ الرأس تيهاً ، بعظيم ، جليل .. ولا كل من سرق خطاه ، وكسر جفنه ، وحنى رأسه ، بذليل ، ضرع ..

قد يستوي الانسان على منبر العدالة ، وليس بعادل .. وقد يتعلق بقضبان قفص اتهامه ، وليس بمشوش ، ظالم ..

ما كل من ارتدى البرفير وحمل الصولجان ، بملك .. ولا كل من خلا منهما برعية .. ما كل من تعمم وذرى على رأسه الرماد ، بمتصوف ، متدين ، عابد .. ولا كل من رمى جدار المعبد بحجرة ، بكافر ، جاحد !..

قد يلتفع الانسان بالسواد ، ويتشح الحداد وليس هو بالبائس الكئيب.. وقد يرتدي ثياب عرسه ، ويكلل جبينه بالورد ، وليس بالفرح السعيد !..

.. ألوان من الناس .. وألوان من الاقدار والمصائر ..

والناس فئات ونزعات وميول :

فئة تخترع وتبدع..وفئة تبارك أو..تلعن..فئة تسعى لتقييد عناصر الكون وكشف القناع عن خفاياه وأسراره،متخذةمن ذلك ألعوبة ليلهاونهارها..وأخرى ترنو الى الكون، نشوى من بهائه ، خاشعة امام قدسيته ، مقيدة بقدرته ، مطمئنة الى مصيرها ومصيره!.:

فئة تستحم بعرقها طول النهار لتشبع خبزا .. وأخرى تتمرغ في راحتها ، شبعى وثملى من عرق وزفير الكادحين ،

أناس يبكون وينوحون ، ممزقي الاحشاء والاكباد .. وآخرون يقهقهون، ملء أشداقهم ، ساخرين من مآسي النائحين !

بعضنا يموت فيتربع آخر على أنقاض قبره ، وبعضنا يحفر القبور لمواراة موتى ، بينما ينبشها آخر لاحياء أموات ..

أناس يتسامون عن كل قديم بـال ويؤلهـون كل جديد طريف .. وآخـرون يلجون هيا كل القديم فيجثون امام أصنامه خاشعين ..

منا من يزغرد ويصفق في العرس ومنا من تعاوده الذكـرى فيتنهد و يبـكي .. وهناك من لا يصفق ولا يبـكي .. وقل هذا في الجنازة ! بعضنا يدخل المعبد للصلاة. وبعضنا يقف أمام الباب . ومنا من ينتصب بعيدا عن المعبد وعن بابـه .. وليـس هؤلاء بسواء ، لكن هل كل من ولج معبدا صلى ؟

بعضنا طال قيده ورق. واتسع سجنه وشق ، فجاب الطرقات والدروب ، وذرع الشوارع والازقة خطى سادرة .. واتكا على الاسرة والحرير . وروى لسامعيه شجونا.. وآخر ضيقت عليه الاقدار الخناق وكثفت في وجهه السدود .. فضاقت أنفاسـه . فبات يهذي .. ويئن ..

بعضنا وضع بيديه القيد بمعصميه . وكبل رجليه وقال للسجن : فيك سكناي وفي زواياك تخفق أطياف روحي .

بينما وثب الآخر وثبة الخلق والابـداع ، وانتفض انتفاضة الثائر الطمـوح . فانكسر القيد بانتفاضته ، وهوت جدران السجون .. فلم تنل منه الاقدار وما حبسته السدود ، فعاش غير عيش الآخرين !..

.. لكن للحياة وجوها .. وللقيود والسجون ألواناً ..

وكلنا قيد الايام والسنين ، وعبيد سنة الحياة والموت .. نصارعها فتصرعنـا . فنسير خلفها مرغمين ... فحتى متى ؟...

وإلى أيـن ؟...

الى الدكتور الطاهر الخميري

الجوهري قبل العرضي

بقلم منجي الشملي

سيدي الاستاذ ،

اقبلت على قراءة فصلك « من الاعمال الثقافية التي لا يمكن القيام بها الا في تونس » (١) حفيا به ، مرتاحا اليه ، آملا ان اجد فيه اعرابا عن حاجة فكرية ملحة تبهظ كياننا ، واشارة طيبة الى اعمال جليلة تترقبنا في بلادنا ، ودرسا مركزا لنوع هذه الاعمال واقتراحات عريضة جلية تدلنا على الوسائل التي تمكننا من تحقيقها ؟

اقبلت على قراءة هذا الفصل اذن ، وصدري منشرح ، ونفسي مفعمة تفاؤلا في ان اجد دعوة طيبة الى التاليف والنشر ، ودافعا للهمم ، وتوجيها حرا وتنبيها للعقول النائمة والاذهان المسترخية ، لعلها ان تعرض عن التملي وتقبل على التامل ، فتندفع الى الكد بعد الفراغ ، والى الجد بعد الهزل ، حتى تبرز شخصية تونس الثقافية بعد ان برزت شخصيتها السياسية . واخذت تنمو نموا نرجو ان يكون ميمونا موفقا ...

كان الفصل قولا – على الاجمال – في شان بعث الادب العامي وجمع العادات التونسية والالفاظ العامية ، وتحسرا على عدم وجود مؤلفات تجمع شتات هذا الادب وتلك العادات والالفاظ ، ودعوة في آخر الامر – ملحة – الى جمعها في مراجع وتآليف ومعاجم ، وهذه ، حسب قولك ، « اعمال تنتظر منا وكثيرا ما نسأل عنها » ...

انها فكرة طيبة هذه التي أتحفتنا بها ، يباركها كل من تربطه وشائج البنوة ببلادنا الكريمة ؛ انها دعوة كريمة لعمل كريم يجمع تاريخ عاداتنا وتاريخ ادبنا

(١) الفكر ، السنة ٤ ، العدد الاول

الشعبي ، وتاريخ تطور لغتنا اليومية العادية في مراحل تكوينها ، ومراحل تاثرها بشتى اللغات التي عايشتها ، سواء أكانت لغات الغازين الغاصبين ام لغات المتاجرين المتكسبين او الاجانب المستوطنين .

ولكن هل تظن - سيدي الاستاذ - انه من الجد ان نبدأ من هنا ؟ أتعتقد ، في تجرد ، ان هذه هي نقطة الانطلاق في إحياء تراثنا القديم الراكد هناك، بعيدا ، في خزائن دور الكتب ، الجاثم تحت طبقات الغبار الكثيفة منذ الدهور قبل الدهور ؟ أتعتقد ، في تثبت ، ان هذا هو اوكد الاعمال لبعث ثقافة تونسية نعرف بها نحن انفسنا اولا ، وبها تعرفنا سائر الشعوب ثانيا ؟ أترى ، في هدوء تفكير وروية ، ان هذا هو الدرجة الاولى في سلم الرقي والخطوة الاولى في فتح الاذهان ، وهز العقول وتوسيع الآفاق ، وبسط عالم جديد من المعارف والآراء ؟ ...

ليجمع المصريون والسوريون - ان شاءوا - امثالهم العامية ، وليكتبوا قواميس عن عاداتهم وتقاليدهم وتعابيرهم وليضعوا معاجم لالفاظهم العامية ، وليدرسوا شعرهم الملحون وليبحثوا في تطوره ، فلسنا مدفوعين الى تقليدهم دفعا في هذا الميدان ، اذ الوضع غير الوضع والمرحلة غير المرحلة ، ان لنا ما يشغلنا عن ذلك الآن ، اذ علينا ان ننجز - اولا وبالذات - ما من شأنه ان يبلور عناصر ثقافتنا الوطنية من مختلف التآليف ، في شتى الميادين والبحوث والدراسات ..

لقد وجدتني ، في مختلف المناسبات وعديدها ، بين اجنبيين من مختلف شعوب العالم فلم اسال - مرة واحدة - عما لنا من مجموعات في الامثال العامية ، او عما لنا من قواميس العادات ومن النصوص المفسرة من الشعر الملحون ! لم أسال عن ذلك - علم الله - ولا استوضحني في هذا الشان احد ! وانما سئلت، وكثيرا ما سئلت ! - وخجلت عند الاجابة - عما لنا اليوم من ثقافة حية غضة انسانية :

عن روايات قصصية الفها تونسيون ،
عن روايات مسرحية الفها تونسيون،
عن كتب تاريخية - جدية لا هزلية ! - الفها تونسيون ،
عن دراسات ونظريات فلسفية - طريفة لا منقولة مرددة اتى بها تونسيون ،

عن استنباطات علمية ادلى بها تونسيون ، عن ترجمات الى اللغة العربية قام بها تونسيون ، فالشعوب ، كل الشعوب ! متكاملة متعاونة في الحياة الفكرية كما في الحياة الاقتصادية وسئلت كذلك ، عندما اذكر تراثنا الثقافي العظيم ، عن مدى الشوط الذي قطعناه في نشره والكشف عنه ...

هذه هي الاعمال التي تنتظر منا ، وهذه هي الاعمال التي نسال عنها كثيرا.. ولعلك سئلت انت نفسك عن هذه الاعمال - سيدي الاستاذ - وانت من انت سعة اطلاع على عديد البلاد ، وغزارة معرفة بنفسية مختلف الشعوب المتمدنة ، المزهوة بتراثها ونتاجها الثقافي الحي المتجاوب مع روح العصر ؟ ... وهذه هي الخطوط الكبرى التي يجب ان نرسمها وان نسير حسبها ، في جد واخلاص ، في هدوء وتؤدة ، في غير عنف ولا جلبة ، اننا في فترة انتقال دقيقة ، بل في فترة انقلاب - يا سيدي - وما بالشعر الملحون يكون الانقلاب !

لقد ذكرت في مقالك ان « قسم التاليف والترجمة والنشر » (١) الذي انشىء بكتابة الدولة للتربية القومية منذ سنتين ، قد « جمع مواد لوضع قاموس للعادات والتقاليد التونسية » ؛ عمل مبارك ميمون ؛ ولكن ، ان سمحت ، أهذا كل ما قام به قسم التاليف والترجمة والنشر طيلة سنتين كاملتين ؟

ألم يعن بالتاليف او يوعز بالتاليف ؟

ألم يعن بالترجمة او يوعز بالترجمة ؟

ألم يعن بالنشر او يوعز بالنشر ؟

هل وفق هذا القسم - على الاقل - الى نشر تاريخ ابن ابي الضياف ، هذا الكتاب الذي لم تتح له الاقدار ان يخرج للناس محققا مضبوطا في طبعة علمية ؟ هل

---

(١) الدكتور الطاهر الحميري هو نفسه رئيس هذا القسم .

قام هذا القسم الفني بالنظر في شأن تاليف لجان ترصد لها الاعتمادات المادية والتشجيعات الادبية لتؤلف في تونس ، وتترجم في تونس وتنشر في تونس ؟

هذه هي الاعمال التي تنتظر منا ، وهذه هي الاعمال التي نسأل عنها كثيرا كثيرا

هذه هي العناصر الاساسية التي بها تبرز شخصيتنا الثقافية ، ومنها ينطلق صوتنا ـ صوت تونس الجديدة ـ لينضم الى اصوات الشعوب الاخرى العاملة في حقل العلم والثقافة والسلام العالمي ؟

هذه هي الاعمال التي نحن مطالبون بها كي نشارك في تزكية الحضارة الانسانية في انشاء الانسان الجديد ، هذا الانسان الذي اصبح اليوم حقيقة جديدة ، له سلطان على الطبيعة وقدرة على تغييرها ، وباع طويل في تسخيرها لصالح الانسانية ؟

هذا هو « جوازنا » الذي يمكن ان ندخل بفضله اليوم في حظيرة المنظمات الثقافية العالمية ؛ فحسبنا ما عشناه عالة على الشعوب المتقدمة ، ناخذ منها كل شيء ولا نعطيها اي شيء ، نفيد منها ولا نفيدها ، فمعنى التعايش هو التعاون الى اقصى حدود التعاون ...

لنترك الامور العرضية اذن ، ولنتوجه ـ في صدق واخلاص ـ الى الامور الجوهرية ، ولنجل تراثنا القديم ، ولننشىء ثقافتنا اليوم ؛ لندرس مؤرخينا وفلاسفتنا وعلماءنا وادباءنا وشعراءنا ، ولنجتز مرحلة اللباقة والكلام المتقعر الى البحث العلمي الرصين ، ولنتعد مجرد ترديد الاراء ونقل النظريات الى الانشاء والابداع .

هل يسرك ـ سيدي الاستاذ ـ ان ينادي التونسيون بوضع معاجم اللغة العامية ومجموعات الامثال المرتبة على الحرف الاول من المثل ، ومجموعات للامثال المرتبة حسب المواضيع ... ايضا ... في حين ان ابن خلدون ـ مثلا ـ يكتشفه اليوم امريكيون؟ للامريكيين ان يدرسوا ابن خلدون ويبحثوا في آرائه ان طاب لهم ذلك ، ولكن ابن خلدون الحقيقي لا يمكن ان يدرسه الا تونسيون ـ جديون ! ـ فهم المسؤولون

عنه قبل كل احد ... وقل مثل ذلك في تراث المغرب العربي باكمله ، بما فيه تراث الاندلس ذلك التراث العظيم الخطير .

اين نحن الآن ـ سيدي الاستاذ ـ من الاعمال الثقافية « الاكيدة » التي عقدت لها فصلك .

لك ان شئت ؟ ان تضع قواميس اللغة العامية ، وان تفسر نصوص الشعر الملحون ، فهذا عمل طيب ، ما دام لا يحتكر الا جهود شخص او شخصين ، وفائدته لا تنكر . اما ان يكون هذا النشاط توجيها تريده عاما وتنعته بانه اكيد وكثيرا ما نسال عنه ، وتريده عملا اساسيا لما يقوم به هذا القسم الفني للتاليف والترجمة والنشر فهذا امر قد يكون الخطأ كل الخطأ ، والخروج عن القصد كل الخروج . ولنا من الاعمال الاكيدة ما يشغلنا عن ذلك السنين الطويلة ، وما يشغل قسم التاليف الاعوام العديدة .

ليفتح لنا قسم التاليف والترجمة والنشر خزائن الكتب ، وليتح لنا فرصة الوصول اليها قبل ان تستحيل غبارا ، وليفسح لنا المكتبات وليمكنا من التعرف على ما فيها ـ بدون ان نستثني المكتبة القومية ، فالتآليف فيها راكدة والسياج عليها مضروب . .

ولندع الى التاليف والترجمة والنشر ؛ فهكذا تنشأ الثقافة الوطنية أولا تكون (١)

---

(١) سننشر في العدد المقبل بقية مقال «مشكلة الله في الادب الفرنسي المعاصر» الذي ترجمه منجي الشملي .

بحث أدبي

نهج البلاغة

بقلم المستشرقة الايطالية لورة فيتشيا فاليري

بطلب من جمعية أحباء ايطاليا القت الاستاذة لورة فيتشيا فاليري *Laura Veccia Vaglieri* بقاعة القنصلية الايطالية منذ بعض أسابيع محاضرة عن كتاب نهج البلاغة حضرها جمع كبير من العلماء والادباء والطلبة السيدة الفاضلة أستاذة للآداب واللغة العربية بالمعهد العالي للدراسات الشرقية بنابلي بايطاليا وقد قدمها الاستاذ الشيخ الفاضل بن عاشور فتحدث عن منزلة الاستشراق بايطاليا وتجاوب المستشرقين فيها مع الذوق العربي والفكر الشرقي . ومما قال في تقديمها :

« قد اختارت الاستاذة في محاضرتها موضوعا من المواضيع التي تثقفت فيها ؛ فقد كانت هذه الاستاذة متخصصة في دراسة العهد العلوي ودراسة شخصية الامام علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وخلافته وآدابه ، وهي اليوم تتولى عرض بحث يرجع الى تمييز القيمة الفنية لكتاب نهج البلاغة وتمحيص ما فيه من النصوص التي تفضل أنها صحيحة النسبة للامام علي والنصوص التي تخول كغيرها من الباحثين العرب والمستعربين القدماء والمحدثين الى انها ليست صحيحة النسبة الى الامام علي » .

وقد تفضلت الاستاذة وسلمتنا مشكورة نص المحاضرة لنشره على صفحات « الفكر » .

كم كان سروري عندما دعاني حضرة صاحب السعادة سفيرنا المفوض الى القاء محاضرة بين حضراتكم . تلك هي فرصة سنحت لزيارة بلدكم الذي يهواه نفسي وان اعتلاني الخجل واحاطني الوجل من الخطابة بلغة تنطقونها بكيفية تتعسر على امثالي غير ان لطافتكم التي احاطتني قد ازالت عني كل خجل ووجل . فاشكركم من اعماق نفسي على حفاوتكم ومجاملتكم . وها انا ذي احدثكم عن نهج البلاغة ، احدثكم بكل بساطة حذرا من ان يطبق علي قول الشاعر : (كالهر يحكي انتفاخا سورة الاسد) .

فقبل ان استهل الموضوع التمس من حضراتكم الاصغاء الى ذكر الاسباب التي دعتني الى الاهتمام بالبحث عن كتاب قد لاتستساغ قراءته ، ولاندري أكان ذلك من صعوبة ادراكه ، او من كثرة المواعظ الموجودة فيه . وكما تعلمون ان الناس قد لا تحب ان توعظ او تذكر الاخرة وما ينتظر المذنبين فيها من سوء الوعيد ، كنت أعلم ان الشيعة اعتبرت (كتاب نهج البلاغة) كتالي القرآن الكريم والحديث النبوي وكما كنت اعلم ان اهل السنة يعظمونه وخصوصا بعد ان اهتم الامام الشيخ محمد عبده ببعثه من مرقده وها قد اصبح الشبان في المدارس يحفظون منه نبذا .

ومن جهة اخرى ، كنت اجد هذا الكتاب مهملا في مؤلفات المستشرقين وبحوثهم باعتباره مزوّرا ثم قرأت ما كتبه الاستاذ عبد الجليل القائل : ليس هناك اسباب تحمل على رفض كل ما انطوى عليه الكتاب رفضا قاطعا ، وان بحثا دقيقا منصفا قد يؤدي الى تمييز المزور والاكتشاف الحقيقي فاثرت عليّ هذه الكلمة واخذت تطارح خلدي .

وبينما كنت مشغولة بالتنقيب عن الحوادث الواقعة في عهد خلافة ابي الحسن علي بن ابي طالب اذ عثرت على صحف شتى من الكتاب فلاحظت انطباقها على نصوص المؤرخين القدماء . فقلت لنفسي ان وثقنا بهؤلاء المؤرخين وقبلنا ما ذكروه لنا فلم لا نعتبر هذه الصحف من الحقيقي ايضا ؟

وتساءلت في نفسي : لم لا أحاول دراسة ما في الكتاب ؟ فلو ثبتت صحة جزء منه على الاقل لكان ذلك نجاحا في العثور على شاهد كبير في النثر العربي يعد الثاني بعد القرآن الكريم .

فشرعت في دراسة الكتاب مباشرة واذ ذاك علمت ان مشكلة صحته قد شغلت اذهان علماء المسلمين من قبل وان الجدال والنزاع كان قد قسمهم الى ثلاثة فرق .

فكان فريق يدافع بحماسة عن صحة نسبة الكتاب الى الامام علي ولا يجيزون محاولة الجدال في امر صحته وفريق لا يعترف الا بصحة جزء منه وفريق بت في عدم صحة الكتاب باسره ويعتبره مختلقا .

ثم اطلعت على بحث اجراه باللغة الفرنسية احد علماء المسلمين حديثا . غير اني لا بد ان اصرح بعدم قبولي لاسلوبه الذي يختلف عن اسلوبنا معشر المستشرقين ، وحتى لو وجدنا فيه ملاحظات تقتبس لاهميتها ودقتها. ثم وضعت الكتاب امامي وقمت بترجمته . لان عملية الترجمة هي حيلة تساعد الباحث على فهم فكرة المؤلف الاجنبي وخصوصا ان كان النص معقدا فانها تجبر على التعمق .

غير اني قد اخطات في بادىء الامر : فلقد اعتاد كل مصنف ان يستهل موضوعه بمقدمة كما اعتاد كل قارىء اهمالها وعدم الالتفات اليها . وكنت من بين هؤلاء الذين اهملوا مقدمة كتاب نهج البلاغة في بادىء الامر ولنا الآن ان نسلك سواء السبيل معا ونحلل هذه المقدمة . ولكن قبل ان نبدأ استاذن حضراتكم في فتح قوس : لقد اخبرنا ابن خلكان عن اختلاف الآراء حول من جمع كلام الامام هل كان الشريف الرضي ام الشريف المرتضى ؛ غير ان الشك في الجامع لا مبرر له فلقد كان الجامع بلا شك هو الشريف الرضي وليس اخاه الشريف المرتضى . وسوف اعرض هذا وابسطه في مقالة سانشرها عما قريب ان شاء الله تعالى . ولذا سوف لا اقصد من ذكر الجامع اثناء حديثي سوى الرضي .

فلنقفل القوس ولنعد الى مقدمة الكتاب . فالشريف الرضي - وهو الشاعر المشهور ، الاديب المأثور عاش في النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة - ذكر في سابقة الذكر انه قد ابتدا في عنفوان شبابه في تاليف كتاب في خصائص الائمة يشتمل على محاسن اخبارهم وجواهر كلامهم غير انه ما اتم من هذه الخصائص سوى ما يخص امير المؤمنين علي بن ابي طالب فجاء في اخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه من الكلام القصير دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة فاستحسن جماعة من اصدقائه ما اشتمل عليه هذا الفصل المذكور معجبين ببدائعه متعجبين

من نواصعه فسالوه ان يؤلف كتابا يحتوي على المختار من كلام امير المؤمنين في جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب ومواعظ وآداب علما أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنياوية ما لا يوجد مجتمعا في كلام ولا مجموع الاطراف في كتاب الخ .

فاجاب الرضي مسالة هؤلاء معتمدا تبيين عظيم قدر امير المؤمنين في هذه الفضيلة فلنستخرج الآن زبدة ما ذكر . . .

ماكان مراد الرضي من تاليف كتابه هذا ؟

(اولا) كان غرضه ان يجمع نبذا . وما اهتم بجمع كل ما نقل عن ابن ابي طالب فانا نجد خطبا ورسائل منسوبة اليه في بطون كتب اخرى فاذن قد اخطا من قال ان كتاب نهج البلاغة يضم كل ما نقل عنه

(ثانيا) لم يكن غرض الشريف الرضي الا تاليف مجموعة للفصاحة العلوية ويؤيد هذا عنوان الكتاب نفسه (نهج البلاغة) كما تشير الى ذلك بعض العبارات التي تلي ما لخصناه من المقدمة يذكر فيها الجامع انه قد اجمع على اختيار محاسن الخطب فمحاسن الكتب ثم محاسن الحكم والاداب وان الغرض من هذه العملية هو ان يورد النكت واللمع لا التتالي والنسق . وبهذه الكيفية قد خطط الرضي حدود عمله ، اذ ليس بمجموعة نصوص الامام تتخذها الشيعة اساسا لمبادئهم المذهبية ومطامعهم السياسية ،كلا بل هو كتاب ادبي محض . ولو قمنا فيما بعد بمطالعة صحائف الكتاب لوجدنا في طيه من الادلة ما يزيد وضوحا في ان الجامع قد اقتطف ما طاب له سواء كان ذلك من الطويل او القصير او الاقصر بحيث لا يكون خارجا عن حدود عمله وحيز غرضه فقد نرى كل قطعة من هذه المقتطفات متوجة باحد هذه العناوين وهي « من خطبة له عليه السلام » او « من كلام له عليه السلام » الخ كما نراها متمنطقة الوسط بقول الجامع . . « ومنها » او « ومنه » وذلك بعد سطور معدودات من القطعة نفسها . . واخيرا قد لاحظ ابن ابي الحديد الشارح المشهور قطعا قدمت كقطع ذات عنصر واحد وهي في الحقيقة مركبة من عنصرين او اكثر ثم قال ان الجامع قد ذهب الى ذكر البليغ من كلام امير المؤمنين ولا غير . فكانت كلمة الشارح للجامع كتزكية .

إكان كشف النقاب عن كل هذا امرا ضروريا ؟

نعم كان ضروريا لانه بمساعدة ما ذكرته قد نستطيع معرفة سبب غرابةهذا الكتاب وغموض بعض مواضيعه .

ان العصر الذي عاش فيه الرضي لهو القرن الرابع للهجرة ومما عرف عن ادبائه انهم كانوا يتسابقون الى النسق ودقة الصناعة والزخرفة اكثر من التفاتهم الى اشباع الموضوع . ذلك القرن الذي شاهد موكب النثر المزخرف اثناء سيره في طريق الانتصار .

فبهذا قد اتضح لنا السبب الذي حمل مؤلفنا على جمع وثائق لغوية عتيقة غنية بزخارف البلاغة وعجائب الفصاحة ان ذلك لهو المبدا الذي تحكم في كتاب نهج البلاغة وسيطر عليه ، هو العثور على رشيق الاسلوب وجميل الصيغة وغريب المفردات ونادر الجمل وبديع المجاز .

سبق ان نوهت بغرابة الكتاب وربما ظن بعض حضراتكم اني لم انصف ، فما هي علامات تلك الغرابة ؟

ان عدم وجود ترتيب وتعقيب اول ما ، يلاحظ اللهم الا ماكان من فصل الجامع للخطب عن غيرها كالرسائل والحكم، ففي هذا انه لرتب وعقب. وما سوى ذلك فكان ممزوجا ؛ فقد مزج طويل النبذ بقصيرها واقصرها كما مزجت السياسة بالوعظ والوصف . كذا لم يلتفت الجامع الى سابقية الحوادث . فمخاصمة امير المؤمنين لاعدائه قد سبقت مثلا رثاءه لفاطمة الزهراء حين دفنها وهلم جرا

وقد ذكر في آخر الكتاب ان الرضي انتهى من جمعه سنة اربعمائة للهجرة ثم توفاه الله سنة ست واربعمائة واشتغل خلال هذه السنوات الستة الاخيرة بما قد وكل اليه من المناصب فتساءلت عما اذاكان الكتاب قد أتم عند مماته ام لا .

فلننتقل الان الى بحث الكتاب من الباطن بعد ان فحصناه من الظاهر

ذكرت ان ابن خلكان قد شك فيمن جمع الكتاب . غير اني لم اذكر انه أضاف الى ذلك الشك مخبرا عن اتهام علماء وقتئذ لصحته (صحة نسبته الى امير المؤمنين) « فقد قيل انما الذي جمعه ونسبه اليه هو الذي وضعه والله اعلم » فتبين ان اعظم الشكوك هو الشك في صحة نسبته وخاصة من اهل السنة قد وقع . واما الشيعة فقد اجمعوا على صحتهبتمامه او اعترفوا عن غير رضى بوجود المدسوس

فيه مما لا اصلة له بعليّ وقد تسرب ذلك الى نهج البلاغة بقدر ما تسرب الى الحديث الشريف .

فلنفتح الكتاب ونستهل قراءته :

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصي نعماءه العادون ، ولا يؤدي حقه المجتهدون ، الذي يدركه بعد الهمم ، ولا ينـاله غوص الفطن ، الذي ليس لصفته حـد محـدود ، ولا نعت موجود ، ولا وقت معدود ولا اجل ممـدود ، الخ . . .

رحماك ربي قد بدأ الشك يتسرب الينا ايضا ويسري في قلوبنا . فمـا اوقع هذا السجع وما أضبطه . فلنواصل قراءتنا :

اول دينه معرفته ، وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الاخلاص له ، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه ، لشهادة كل صفة انها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف انه غير الصفة ، فمن وصف الله سبحانه فقد قـرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جـزأه ، الخ ...

أهذه القطعة شهـدت عهد عليّ ؟ كلا ، ان هذه القطعة الكلامية في توحيد الله لم تخلق في عهده مطلقا وما ولدت الا بعده غير ان ما قـرأناه هو اول ما في الكتاب فقـد نعتبره كمقدمة اضيفت الى الاصل فيما بعد . فلنترك هـذا ونقرأ قطعة اخرى :

الحمد لله الذي لم يسبق له حال حالا ، فيكون اولا قبل ان يكون آخرا ، ويكون ظاهرا قبل ان يكون باطنا ، الخ...

فما اكثر الافكار الفيلسوفية في هذا القطعة

ولنقرأ نبـذة اخرى :

وبسطتم يدي وكففتها ، ومددتموها فقبضتها . وتداككتم علي تداك الابل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى انقطعت النعل ، وسقط الـرداء ، ووطيء الضعيف وبلغ من سرور الناس ببيعتهم اياي ان ابتهج بها الصغير ، وهدج اليها الكبير ، وتحامل نحوها العليل ، وحسرت اليها الكعاب . .

فاين السجع هنا ؟ اللهم الا ما كان عفوا عن غير قصد مما لا يعرف النسق

والمبالغة بحال وما وجد في هذه القطعة سوى وصف بسيط ولم لا نصرح بقدم مثل هذه القطعة ؟ فربما صحت ايضا نسبتها الى الامام علي .لم لا ؟

قد تشيع بعض الباحثين ومنهم نفس الشارح ابن ابي الحديد لوحدة الاسلوب (اسلوب الكتاب من اوله الى آخره) اما رايي فهو عدم وحدة الاسلوب. فاصغوا الى هذه القطعة التالية التي يقرأها الدكتور روستكو نيابة عني :

كبس الارض على مَوْر امواج مستفحلة ، ولجج بحار زاخرة تلتطم اواذيّ امواجها وتصطفق متقاذفات اثباجها وترغو زبدا كالفحول عند هياجها ، فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها ، وسكن هيج ارتمائه اذ وطئته بكلكلها ، وذل مستخذيا اذ تمعكت عليه بكواهلها فاصبح بعد اصطخاب امواجه ساجيا مقهورا ، وفي حَكَمة الذُل منقادا اسيرا وسكنت الارض مدحوّة في لجة تياره ، وردّت من نخوة بأوه واعتلائه وشموخ انفه وسمو غلوائه وكعمته على كظّة جريته فهمد بعد نزقاته ولبد بعد زيفان وثباته ولما سكن هياج الماء من تحت اكنافها وحمل شواهق الجبال الشُمَّخ على اكتافها فجّر ينابيع العيون من عرانين انوفها ، وفرّقها في سهوب بيدها واخاديدها وعدّل حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذوات الشناخيب الشمّ من صياخيدها وسكنت من الميَدان لرسوب الجبال في قطع اديمها وتغلغلها متسربةً في جوبات خياشيمها وركوبها اعناق سهول الارضين وجراثيمها وفسح بين الجوّ بينها واعد الهواء متنسما لساكنها واخرج اليها اهلها على تمام مرافقها ثم لم يدع جُرُز الارض التي تقصر مياه العيون عن روابيها ولا تجد جداول الانهار ذريعةً الى بلوغها حتى أنشأ لها ناشئة سحاب تُحيي مواتها وتستخرج نباتها ، الّف غمامها بعد افتراق لمعه وتباين قزعه حتى اذا تمخضت لجة المُزن فيه والتمع برقه في كففه ، ولم ينم وميضه في كنهور ربابه ومتراكم سحابه ، ارسله سحًا متداركا قد اسفّ هيْدبهُ تمريه الجنوب درر اهاضيبه ودفع شآبيبه الخ . . .

واظنكم توافقوني ومَن حكم على حداثة امثال هذه القطعة لاحكام صناعتها ودقتها .

يقول ناكرو النسبة ان الطريقة العددية في شرح المسائل كتقسيم الفضائل والرذائل الى عدة عناصر لم يلتفت اليها ادباء الصدر الاول وفي كتاب نهج البلاغة امثلة عديدة لهذه الطريقة واذكر منها قوله :

الايمان على اربعة دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد والصبر منها على اربع شعب الخ...

ثم يقول ناكرو النسبة ان في الكتاب ما يُشمّ منه ريح ادعاء صاحبه علم الغيب وان اعتقدت الشيعة في اهلية الامام لعلم الغيب. فاهل السنة افردوا الله بذلك بدليل ما ورد في القرآن (لا يعلم الغيب الا الله) فلقد قرأت هذه التنبؤات فوجدتها في غاية من الغموض فتساءلت عما اذا كانت تنبؤات حقا ام لا .

وبما قد سبق من الامثلة والكلام قدّمتُ اليكم الحجج الاساسية التي كانت في متناول المتنازعين .

وعند وصولنا الى هذه النقطة من كلمتي لعل احدكم يقول في نفسه : لقد جاءت هذه المحاضرة باشياء قد عرفناها من قبل ، فما تقصد ؟

فجوابي على حضرة المتسائل هذا اني قد حضرت لاطرح شيئا جديدا على بساط البحث وذلك لاعتقادي ان العمل الذي قمت به لم يقم به احد سواي فقد استخرجت من الكتاب كل ما يحتوي عليه من المواضيع السياسية المتعلقة بالحوادث التاريخية ثم ترجمتها فادرجتها حسب التسلسل التاريخي ثم درستها . فهذا عمل قد تبينت لي اهميته وان لم اتممه حتى الآن . لانه مكّنني من ايجاد بعض الملاحظات مثلا :

اول شيء لاحظته ان الذي يرجع الى اقدم عهد من حياة ابن ابي طالب ما هو الا القليل النادر وهذا ان لم يكن بمقدار حجة تامة على صحة النسبة فقد يكون شبه حجة على الاقل . لانه لو اراد احد تزوير هذه الوثائق لقام بتزوير كل ما انطوى عليه عهد الامام . وانما كثرة ما ورد من قطع تتعلق بما حصل بعد ان بويع له بالخلافة تدل على ان اهتمام الناس بحفظ كلامه نشأ ونما حسب ارتفاع منزلته .

ولي ان اقول ايضا : ان ترتيب المقتطفات حسب تسلسل التاريخ قد جعلني أسقط بعضا من تعاليل مَن ذهب على عدم الصحة القائلين : وكيف يمكن وقوع الطعن في بعض صحابة رسول الله بما لا يليق من مثل الامام عليّ ؟ وقالوا : لو ان عليّا لم يستحسن كيفية بيعة من سبقوه بالخلافة - كما ورد في

الخطبة المسماة بالشقشقية - فكيف له ان يمدح عمر بن الخطاب ويتغالى في رفعة شانه كما ورد في خطبة اخرى ، فاذن تضاد هـذه المقتطفات ، مما يحرضنا على الشك في صحتها ، ولكن ، ايها السادة ، الزمان وتطوراته هي حقيقة واقعية ولا بد للباحث من ان يقـدر تغير الظروف فيجب فحص مقتطفات نهج البلاغـة بعد ان وضعت مسلسلة حسب تطورات الحوادث التاريخية اعني بعبارة اخرى ان عليًّا بعد ان بويع له بالخلافة وبعد ان اضطر الى مواجهة معارضيه بحد السيف تمكن من التصريح بما كان كامنا في نفسه او بما لم يتكون في باله قبل .

ثم من المعروف ان النزاع السياسي قد يدفع الى العنف لفظا وخطا وقد اخبرنا المؤرخون من العرب عن مقدار الا هواء التي انطلقت من عقالها في عهدي خلافة عثمان وعليّ وقد وصلنا ما حفظوه لنا من الوثائق وان اختبرنا تلك النبذ على ضياء التاريخ فيتلاشى التضاد في الواقع وعندما عاودت قراءة هذه النبذ درسا تبين لي جليا ما قد احسست به اثناء سرادتي الاولى وهو رجوعها الى عهد قديم جدا . فان وجدنا بعض جمل تثير الشك في قدمها فمن المحتمل ان تكون من التحشية وهذا لا يجيز لنا على رد القطعة باسرها باعتبارها مستحدثة . وقـد صرح جرجي زيدان بان المقتطفات السياسية في كتاب نهج البلاغة ترجع الى عـلي غير انه لم يبرز ادلة على صحة ما تبين له . ثم من ذوات الاهمية ان ما يتوسم بالطابع الشيعي من النصوص في نهج البلاغة وهذا القليل النادر - لهو من المبهم الغامض ، ولعل سبب هذا هو اهتمام الجامع بعرض الفصيح كما ذكرنا، غير اني اعتقد انه من داع آخر ، وهو قدم المقتطفات نفسها .

قد لاحظ الباحث الحديث الذي اومأت اليه بان الكتاب يضم قطعا تنطوي على اراء تتماشى مع اراء الامامية والاسماعيلية واهل السنة وغيرهم ثم قال « ان لهذه الاراء اصلا في مذهب الامامية او في مذهب الاسماعيلية او في مذهب «السنة» وما الذي يستنتج من هذا القول لا بد ان يستنتج منه ان القطع التي تضم تلك الاراء كلها حديثة . اما انا فاقول عكس ما قاله وهو ان المذاهب المذكورة لم تتكون في عهد علي وما انشقت وتفرعت الا فيما بعد فكانما كانت لبا ثم نمت وتطورت وتميز بعضها عن بعض و ضبطت . لذا نجد ان الاراء الموجودة في نهج البلاغة لا تبين اتجاها معينا لانها سابقة لتكوين المذاهب نفسها .

والاسلوب الذي يجب ان يتخذه نقاد التاريخ هو اعتبار الآراء وقت حدوثها وعدم تطبيق ما حدث فيما تاخر على ما وقع فيما تقدم .

ومما ينبغي علينا ان نذكره هو ان الرضي كان شيعيا يعيش في عهد بني بويه وهم ايضا من الشيعة وكان بايديهم مقاليد الامور باستئثارهم على الخلفاء انفسهم ولذا كان في وسع الرضي ادراج ما يتماشى مع قومه مذهبا ومطمعا ولكنه لم يفعل ولماذا لم يفعل .؟

لانه رجل نزيه وما وجده منقولا عن الامام من تصريحات سياسية انما كانت بصيغة الاطلاق لا بصيغة التخصيص . ولامانته ونزاهته تعفف عن تبديله وادراج ما يرضي قومه فيه .

ويمكنكم ان تسألوني عن الثقة التي بيني وبين الشريف الرضي وعن سببها وهي تخالف وجهة شك ابن خلكان وعادة بعض الرواة من العرب فيما مضى وهي تاليفهم للشعر وتنميته الى بعض شعراء الجاهلية مثلا . كما انهم يختلقون الاحاديث حسب شهواتهم ثم ينسبونها الى رسول الله . نعم لقد كان كذلك حقا غير انه كان دائما لغرض ما . وما هو غرض الشريف الرضي ؟

ساقص عليكم بعضا من خصائصه التي بها يمكنكم الحكم لشخصيته

كان الرضي ينحدر من سلالة علوية كريمة تنتمي الى الامام السابع الا وهو (موسى الكاظم) وهذا من جهة ابيه واما نسبه من جهة امه فكان علويا ايضا وكان احد اجداده ملكا في القوقاز . فلقد استلم الرضي ما كان بيد والده من المناصب رغم حداثة سنه وصغره عن اخيه المرتضى . فكان نقيب الطالبيين وناظر المظالم وامير الحج وكرمه بهاء الدولة البويهي ورفع منزلته فاتحفه بانبل الالقاب كما صاحبه واخلص له الخليفتان الطائع والقادر . وحاصل هذا ان الرضي قد وصل الى اعلى القمم فتمكن من نظم هذه الابيات :

عطفا امير المؤمنين فاننا	في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت	ابدا كلانا في العلاء معرق
الا الخلافة شرفتك فانني	انا عاطل منها وانت مطوق

فرد عليها الخليفة بقوله : على رغم انف الشريف

وكان الرضي ثريا وتجمله لنفقات دار العلوم التي اسست في بغداد دليل على ثروته . وكان مشهورا لنبوغه في الشعر ، الم يذكر معاصره الثعالبي انه (الرضى) اشعر الطالبيين وربما اشعر قريش ؟ وكان معززا بكثرة الاتباع والاصحاب ، ألا يدل على ذلك بقاؤه في المناصب رغم اضطراب الآونة ؟

غير ان الذي اريد احياءه هو علو همته وحرصه على استقلال ذمته وارائه فانه لم يقبل صلات من احد حتى من بني بويه . ولما خلع بهاء الدولة الخليفة الطائع عنفا تجاسر الرضي على اظهار حزنه وذم السلطان وما اجسره عندما رثى الخليفة بعد وفاته بالحبس اذ كان الظالم هو بهاء الدولة حاميه وكان حريصا على تنفيذ ما كان عليه من الواجبات وكان يوصف بالافراط في عقاب المذنب من اهله وله حكايات في ذلك منها ان امراة علوية شكت اليه زوجها وكان مقامرا فامر الرضي بضربه مئة جلدة . فصاحت المراة يتم اولادي فاجابها بقوله : اظننت ان افعل به كما يفعل المؤدب مع اطفاله ؟

اذن كان الرضى قادرا غنيا اعتلى قمة الشهرة لنبوغه الشعري ، رقيق الحس كريم الخلق . لا يشف عنه اي غرض سياسي مما قام بجمعه في كتابه بل بالعكس فقد نجد فيه ما يخالف اراء الروافض الذين ينتمي اليهم الرضى بعينه واضف الى هذا ان كثيرا من النصوص التي اقتطفها كانت معروفة في بيئته وحينه . فهل كان في ارادته واستطاعته ان يبدل شيئا منها؟ كلا، ثم هناك تغيرات كثيرة في النصوص التقطها الرضى ودونها . ولاي داع كانت هذه المشقة ؟

اني لأرى سر مسالة نهج البلاغة كامنا في جملة قصيرة تُقرأ في مقدمة الرضى حيث يتكلم عن كتابه الاول في خصائص الائمة فقد اخبرنا انه جمع محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير . اذن جمع الرضى ولم ينتقد ولو اخذ ينتقد ما تواتر النقل فيه فعلى ايّ يقف ؟ اذ تيسرت التحشية وخاصة في السجع . فان الجملة تدعو اختها والاسم يدعو ما يرادفه والنعت يبقى على خشونته ان انفرد فيسعى الى تهذيب نفسه بما يوافق طبعه فقد اندفع الرواة الى تنميق النصوص الصحيحة او القديمة بتنوعات ابتدعوها واستعذبها الجمهور ومن اعسر الامور القيام بتمييز صحيح النسبة او العتيق مما زيد عليه . وان كنت اعتقد ان في استطاعتي القيام بهذه العملية فيما يخص الجزء السياسي وذلك بمساعدة الرجوع الى ما نعرفه من الحوادث التاريخية فالباقي من الكتاب اسلّمه الى من هو اقدر مني على تلك المهمة مقتصرة على الاشارة الى مبدإ واحد وهو كل رواية

هي صحيحة بصفة عامة حتى يتبين انها باطلة. (لا تبتسموا من بساطة هذا المبدإ فانه من المودة ان يشك في بادىء الامر ثم يفتش عن الحجج لتثبيت الصحة) . وبتطبيق المبدإ المذكور ارى ان الباحث يُجبر على حذف صحف كثيرة من كتاب نهج البلاغة رغم ملوسته وخصوصا المطول منه . ثم بعد الحذف يبتدىء ذلك العمل الدقيق الذي لاتمامه لا بد من معرفة عميقة بالنثر العربي وتطوره دراسةً وذوقاً وقد سبق انه مما خرج من وسعي وفي اثناء العمل لن يُنسى شيء مهم جدا وهو ان شهرة فصاحة وبلاغة امير المؤمنين على بن ابي طالب لا يُثبتها تواتر الاخبار فحسب بل كانت تُركّز على نصوص دارت بين الادباء وكفى بنا شهيدا ما حكى الجهشياري عن عبد الحميد الكاتب الشهير في اواخر عهد بني أمية احد واضعي فن الرسائل العربي وما يحكى عنه هو انه ابتدع اسلوبه بما درسه من بليغ ابن ابي طالب كما ان ابن نباتة ذلك الخطيب الذي شاعت شهرته لنبوغه في الخطابة قد اكتفى خطب عليّ واخذ منها اذن لم تكن شهرة فصاحة علي توسيعا للاعجاب به لكونه ابن عم رسول الله وسابقيه في الاسلام وجهاده وامامته للمسلمين بل كانت اعجابا نشأ من وثائق تدرس وتقتدى .

فحري ان يجتهد في اكتشاف ما في نهج البلاغة من النصوص القديمة. هذه النصوص التي في استطاعتها ان تزود الاداب العربية باثمن الوثائق واعظم البراهين - بجانب القرآن العظيم - على مقدرتها وثروتها ونضوجها السابق لعهد اختلاط العرب بغيرهم من الامم . وبالختام اضيف الى ما قد



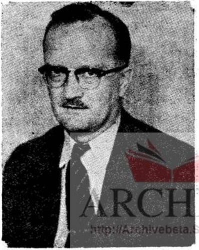
قلت انه على الباحث ألا يقيس ما يجده في كتاب نهج البلاغة من الافكار والاراء على ما يعرفه من الافكار والآراء المتداولة في المدينة لما كانت المركز السياسي لسكان جزيرة العرب فقط بل عليه ان يقيسها على بيئة المدينة التي ضمت عليا في نضوجه اعني في الوقت الذي اصبحت فيه المدينة عاصمة دولة كبرى؛ فلقد تحولت بيئتها وتغيرت عما كانت عليه واتسعت الافكار بفضل التحنيك الديني والسياسي والعسكري فلا عجب اذن من وجود اراء جديدة وافكار فريدة لان ذلك وليد تلك الزلازل وذلك الضجيج التي عرفها اهل المدينة مدة زادت على ربع قرن تلك هي الفترة التي بين البعثة ووفاة ابن ابي طالب .

محادثة مع مستشرق أمريكي

لقد التقيت بصديق عراقي في اوائل سبتمبر الماضي فأخبرني ان استاذا امريكيا يدعى *Thomas Irving* وصل الى جامعة *Texas* آتيا من جامعة *Minnesota* ليدرس اللغة والآداب العربية هذه السنة وهو يود مقابلتي فأخذت عنوانه وذهبت لمقابلته فوجدته بمكتبه فاستقبلني ببشاشة واستحسن زيارتي ثم اخبرني انه زار تونس وأعجب بها وبأهلها . فتجاذبنا أطراف الحديث مدة من الزمن علمت اثناءها انه ولد بمدينة *Preston* بولاية *Canada - Ontario* سنة ١٩١٤ وزاول تعلمه الابتدائي هناك ثم تعلمه الثانوي بمدينة مجاورة حيث درس الانقليزية والفرنسية ثم انتقل الى جامعتي *Toronto* و *Montreal* وفيهما تحصل على اجازته في اللغات الحية ومن هناك غادر وطنه وارتحل الى الولايات المتحدة ، حيث زاول تعلمه العالي بجامعة *Princeton* المشهورة وتحصل على شهادة الدكتورا ومما يجدر ذكره انه تتلمذ على الاستاذ فيليب حتي مؤلف كتاب « تاريخ العرب » بالعربية والانقليزية . ثم شرع الدكتور *Iroing* في تدريس الاسبانية بجامعة *California* ولكن حبه للاطلاع لم يمكنه من الاستقرار فسافر الى بلاد *Colombia* بجنوب امريكا حيث قضى سنة كاملة والى *Guatemala* حيث قضى سنتين يدرس فلسفة التاريخ ثم عين بعد ذلك بجامعة *Minnesota* فدرس فيها الاسبانية واللغة والآداب العربية مدة تسع سنوات ثم تحصل على منحة امريكية مكنته من قضاء سنة كاملة بالعراق وقد زار في طريقه الى هذا البلد العربي اسبانيا والبرتغال والمغرب الاقصى والجزائر وتونس وفيها قابل عدة شخصيات من بينهم الاستاذ عثمان الكعاك وهو يذكره بخير ـ ثم زار طرابلس الغرب ومصر ولبنان وسوريا والاردن وبيت المقدس وفارس والجزيرة العربية السعودية ويجدر بالذكر ان الدكتور *Irving* قد اسلم سنة ١٩٣٦ وقضى فريضة الحج السنة الماضية . وبعد هذه البسطة المتواضعة عن حياته فالاستاذ الكريم لم يحدثني عن مؤلفاته الكثيرة التي نشرها بالانقليزية والاسبانية عن العرب والاسلام والخدمات التي قام بها

لتعريف شمال افريقيا والعالم العربي في الولايات المتحدة والجهود التي ما زال يبذلها لتعريف الحضارة العربية ببلاده ـ رايت من الواجب علي ان اطرح عليه بعض الاسئلة ليطلع على اجابتها قراء مجلة « الفكر » الافاضل .

١ ـ ما هو الدافع لاختصاصكم باللغتين العربية والاسبانية ؟



الاستاذ اروينغ

لقد بدأت دراسة اللغة والآداب الاسبانية اولا فأعجبتني حضارة غرناطة وقرطبة ولكن لم اجد جوابا عن اسئلتي المتعددة التي تتعلق بتأثير العرب في حضارة الاسبان لان الكتب الاسبانية لم تذكرها بالتفصيل فاعتمدت على نفسي ودرست الادبين فوجدت ارتباطا متينا بينهما واكتشفت عالما جديدا يستحق كل عناية .

٢ ـ ما قولكم عن المستشرقين بشمال امريكا ؟

ان المستشرقين بكندا *Canada* يدرسون اللغتين العربية والعبرانية لغايات دينية • اما بالولايات المتحدة فان الجامعات القديمة مثل *Harvard* و *Colombia* كانت تعتني باللغات القديمة لدراسة الآثار وقراءة الانجيل بالعبرانية . وقد تغير الحال خصوصا في السنوات الاخيرة اثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها فقد بدأت الجامعات تعتني باللغة العربية والدين الاسلامي . والجدير بالملاحظة ان الشعب الامريكي لم يتعرف على العالم العربي الا بواسطة المصادر البريطانية والفرنسية ولم يحاول الامريكان الاطلاع على العالم العربي والاهتمام بشؤونه الا منذ مدة قصيرة ويرجع الفضل في ذلك حسب رأيي الى شعراء المهجر والى استاذي الفاضل فيليب حتي الذي بذل جهده لتعريف العرب الى الشعب الامريكي .

٣ ـ من اثر فيكم تأثيرا خاصا من الكتاب العرب ؟

لقد تأثرت بابن خلدون التونسي تأثرا عميقا وذلك عند ما ناولني الاستاذ حتى مقدمته المشهورة وكنت قد طالعت كتاب « انحطاط الغرب » *The Decline of the West* للمؤرخ الالماني *Spengler* الذي توفي اخيرا . فوجدت ان هذين العبقريين قد أتيا بأفكار مماثلة في فهم فلسفة التاريخ وقد شاطر رأيهما المؤرخ البريطاني المعاصر *Toynbee* فقدرت ابن خلدون حق قدره وصرت معجبا بافكاره الفذة .

٤ ـ ماهو حسب رأيكم مستقبل الثقافة العربية ؟

اذا نظرنا الى العالم العربي منذ خمس سنوات وجدنا الاستعمار مسيطرا على غالبه والآن وقد تبلورت الوحدة العربية فان الدول العربية ستتمكن من توحيد جهودها في الميدان الثقافي وقد سرني ما رايت من الاصلاحات والتآليف في البلدان التي زرتها وأعتقد انها ستتواصل حتى يسترجع العرب مجدهم القديم .

٥ ـ ما قولكم في ثقافة شمال افريقية وما هي خصائصها حسب نظركم ؟

عند زيارتي الاخيرة لشمال افريقيا كنت مغتبطا بما حققته تونس والمغرب الاقصى في الميدان الثقافي ومتحسرا لما وجدته بالجزائر وإني على يقين من ان وحدة شمال إفريقيا ستتحقق بعد استقلال الجزائر وان هذه الوحدة الطبيعية ستتجلى آثارها في جميع الميادين وخصوصا في الميدان الثقافي لان شمال افريقيا لها شخصيتها ولها خصائصها .

٦ ـ ما هي افكاركم عن الحركة الادبية بتونس بعد زيارتكم الاخيرة لها ؟

لقد استغربت لكثرة استعمال اللغة والكتب الفرنسية في تونس وأعتقد ان لغة البلاد الرسمية ينبغي ان تفوق سواها في التآليف والصحف والمجلات وارى ان اللغة الفرنسية قد فات أوانها ولذلك يجب على التونسيين ان يعتنوا بلغات اجنبية اخرى ليسايروا التطورات العالمية الحديثة ومهما يكن من امر فان النهضة الثقافية التي شاهدتها بتونس جعلتني أتفاءل خيرا فيها بمستقبلها الثقافي .

محمد شقشوق ـ الطالب بجامعة تكساس (بالولايات المتحدة)

ندوة القراء

عتاب ...

لمجلة الفكر منزلة خاصة تتمتع بها عند كثير من القراء ، هذه المنزلة جعلتنا نعتمد عليها ، ونثق بآرائها ، بل وننتظر تلك الآراء بفارغ صبر احيانا .

وعلى هذا الاعتبار انتظرنا عددها الاخير انتظار الولهين، لالانها تغيبت عنا شهرين كاملين - في عطلتها السنوية - فقط بل لان امورا هامة في ميدان الثقافة ومستقبل التعليم قد جرت اثناء هذه العطلة ؛ اذ أخرجت كتابة الدولة للتربية القومية ، برنامجها الجديد الذي سطرت فيه مستقبل التعليم واتجاهاته في مختلف الدرجات بشكل يبدو عليه طابع الطمأنينة والارتياح ، بل والاستقرار الكامل .

ولا يشك احد في ان اسرة الفكر قد اطلعت على هذا البرنامج ، ولعل بعضا منهم قد شارك في إعداده او اعداد مواده وجزئياته .

على ان الفكر ليست دخيلة او حديثة عهد بهذا الميدان - ميدان مستقبل التعليم بتونس - بل نحن نعرف لها جهودا مشكورة في هذا الباب ، ومن بينها تخصيص عدد كامل في مطلع عهد الاستقلال عالجت فيه شؤون الثقافة ومستقبل التعليم ، شارك فيه جمع من الاساتذة يمثلون مختلف النزعات والمشارب ، وبسطوا هناك آراءهم فيما ينبغي ان يكون عليه تعليمنا وقد صرنا احرارا في توجيهه الوجهة التي نراها ونؤمن بجدواها وفاعليتها في مستقبل حياتنا الثقافية .

تلك هي الاسباب التي جعلت قراء الفكر يتطلعون مشرئبة اعناقهم لرأيها حول البرنامج الجديد .

اهي تؤيده ام تعارضه ؟ ؟ ام تؤيد بعضه وتعارض بعضه الآخر ؟ ثم ما مدى استجابة هذا البرنامج لحاجيات الامة القومية والروحية ؟ او بعبارة اخرى ما مدى استجابته لمقتضيات حياة الاستقلال والحرية ؟

بل ما مدى استجابته لآراء اسرة الفكر او مراسليها وعلى الاخص الذين كتبوا في العدد الخاص المشار اليه، ثم اتيح لهم ان يشاركوا في إعداد هذا البرنامج فيما بعد ؟؟

كان خليقا بمجلة في مستوى الفكر ، وفي ظرف دقيق كظرفنا الحاضر ، ازاء قضية دقيقة وشائكة وخطيرة كقضية التعليم ، ان تتكلم فيها بشجاعة سواء أكان رايها استحسانا او استهجانا ؛ لان الذي يهمنا تصحيح وضع محفوف بالابهام والريبة وطرد اشباح البلبلة الرائثة على عقول الناس ، وما تنتجه هذه البلبلة من حيرة واضطراب

ولكن الفكر - للاسف الشديد - فضلت الصمت في الموضوع ، دون ان نجد علة وجيهة تبرر هذا السكوت المخيف !!

فهل تتفضل الفكر بالاجابة على تلك الاسئلة وبطرد أشباح الحيرة والريبة من نفوس قرائها على الاقل ؟ ؟

وهل تختار كما عهدناها من قبل - العظمة على السعادة ؟

نحن ننتظر في شوق وأمل - وكلنا ثقة بان الفكر - وهي ما ذكرنا - لا تفضل السكوت في موضع الكلام ، ولا ترضى - وهي تحمل مسؤولية ثقيلة باعتبارها المجلة الوحيدة في البلاد - ان تترك الاحداث العامة الخطيرة تمر دون ان يكون لها فيها فضل درس وتسديد او تعليق وان ماضيها وجهودها في هذا الشان يفرض عليها ذلك فرضا • وذلك مهما تكن الاعتبارات والمبررات •

محمد صالح بن ابراهيم
(صفاقس المدرسة الثانوية للذكور)

الفكر

تشكر اسرة الفكر السيد المراسل على ثقته في هذه المجلة وفي القائمين عليها وتجدد له العهد بانها لم تزل وفية لما عاهدت عليه الله ورسمته لنفسها من خدمة للثقافة الحق وتفان في سبيل الفكر الحر

والاسرة لم تغفل عن دراسة برنامج إصلاح التعليم في فلسفته ومحتوياته ولم تعوزها الشجاعة لذلك - فقددلت السنوات الثلاث التي انقضت على انها ليست مجردة منا وانما الذي حال دون نشر بحث في موضوع الاصلاح في هذين العددين الذين برزا بعد الاعلان عنه انما هو انهماك من لهم اتصال بمصالح كتابة الدولة للتربية القومية من افراد اسرتنا في العمل وقد طلبنا منهم ما اقترحه علينا السيد الفاضل منذ شهر سبتمبر ولا نزال من المنتظرين •

على ان صفحات الفكر مفتوحة - كالعادة - لكل من يريد ان يبسط وجهة نظره في هذا الموضوع مع التزام جانب التجرد والنزاهة وخدمة المصلحة العليا للبلاد.

أضواء الفكر

● حول الخلاف القائم بين تونس والقاهرة

طرأت في الايام الاخيرة احداث في المجال العربي تثير قلق كل عربي وتبعث في نفسه الشك في مستقبل العروبة واليأس من غد الفكر العربي الحر ، فقد تحول خلاف كان في اوله بسيطا الى نزاع بين ارادتين لقسمين من بلاد العروبة تستند احداهما في نضالها الى قوى الشعب العربي وتسعى الى اقرار السلام في ربوعه وتستند الثانية في مهاجمة ارادة التحرر الاولى الى الكذب وتزوير الحقائق واخفائها ودفع جماهير العرب الى سبل الكراهية والحقد .

ونحن في هذه المجلة كنا دائما ندعو الى تحرر الفكر من الكابوس الذي اراد الاستعمار ان يكبله به ، وكنا نظن ان صراعنا يدور ضد قوى الشر وقوى الكبت الاجنبية عنا ولذلك لم نتردد في تمجيد بعث الامة العربية وحيينا كما يليق باهل الفكر بعث القومية العربية لانها في نظرنا واعتبارنا قوة خلاقة بناءة ولكننا اكتشفنا بمناسبة هذه الازمة التي ظهرت في العلاقات القائمة بين العرب وخاصة بين الجمهورية التونسية والجمهورية العربية المتحدة اننا اخطانا التقدير عندما ظننا خيرا بمن وقفوا انفسهم على قيادة القومية العربية واكتشفنا ان ما حسبناه خلاقا لا يهدف الا الى الهدم وما اعتقدناه صدقا لا يستند الا الى الافتراء .

ولعل من المصائب ما ينفعنا في المستقبل ويفتح ابصار شعبنا على الحقيقة فيعيد تقدير الاتجاهات والاشخاص ويقيم سلما جديدا للقيم التي ينبغي ان تسوس علاقات العرب .

لقد وضح بمناسبة الزوبعة التي قامت في الجامعة العربية يوم السبت ١١ اكتوبر ١٩٥٨ ان حرية التصرف وحرية السلوك لا وجود لهما في جامعة الدول العربية وان حكومة واحدة تستطيع ان تفرض ارادتها على المجموعة كلها وتستطيع ان تحكم على كل من يخالفها حكما تعوزه متانة المستند وقوة الحجة .

والحقيقة ان ما تصادمت من اجله تونس والقاهرة ليس خلافا بل نزاعا

عظيم الاهمية بعيد المدى بدا عندما تجلت نوايا العدوان في سلوك حكومة القاهرة وتفاقم امره عندما جعلته حكومة القاهرة يتخذ شكل مؤامرات دبرت لاغتيال فخامة رئيس الجمهورية التونسية وانفجر فعم جميع الدوائر العربية عندما رفضت حكومة القاهرة اولا والجامعة العربية فيما بعد ان يدور النقاش حوله في نطاق الاخوة العربية .

وقد تردد في هذا النزاع مرارا اسم صالح بن يوسف وظن ان الخلاف يدور حول وجوده في حين ان وجوده في القاهرة لم يكن الا السبب الذي ابرز نوايا القاهرة في صورة واضحة جلية . والحقيقة ان ما تعيبه تونس على شقيقتها هو تجاوزها نطاق الرعاية الممنوحة الى كل لاجىء سياسي واغداقها الاموال الطائلة على ذلكم الشخص ومنح اعوانه وثائق سفر مصرية يجتازون بها القطر الليبي الشقيق للتسلل الى تونس وحمل الرسائل التي تتضمن تعليمات صادرة من القاهرة بتوقيع ذلكم الشخص قصد اغتيال رئيس الدولة التونسية ، وتعيب تونس على القاهرة مواصلة تشجيعها العملي لهذا الشخص بعد كل محاولة تفشل بفضل عناية المشرفين على الامن بتونس ، وكلما فشلت مؤامرة دبرت مؤامرة ثانية واتخذت لنجاحها وسائل جديدة حتى بلغ عددها ست مؤامرات خلال ثلاث سنوات . ثم ان ما تعيبه تونس على القاهرة هو ما تجلى من نوايا حقيقية وراء هذا التشجيع المطرد واتضح ذلك في بقاء مكتب للدعاية ضد تونس مفتوح بالقاهرة ويديره صالح بن يوسف واعوانه في الوقت نفسه الذي توجد فيه سفارة للجمهورية التونسية في عاصمة الكنانة كما اتضح في التهرب من كل مفاهمة جدية رغم المحاولات التي بذلت طيلة سنتين وقام بها السادة الباهي الادغم والصادق المقدم والمرحوم علي البلهوان والفرجاني بن الحاج عمار واخيرا الطيب السحباني وزاروا القاهرة من اجلها واقاموا بها فترات متفاوتة ، ورغم المحاولات التي بذلها في تونس فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة ورجال الحكومة لدى سفير الجمهورية العربية المتحدة منذ حلوله ببلادنا ولدى وزيرين مصريين هما حسين الشافعي وانور السادات عند زيارتهما لتونس في شهر مارس ١٩٥٧ ، واخيرا رغم المساعي التي بذلت لدى بعض الاخوان العرب وخاصة السيد وزير خارجية العراق عبد الجبار جومرد عند زيارته لتونس في شهر سبتمبر ١٩٥٨ .

ولقائل ان يتساءل لماذا كل هذا الاصرار من قبل حكومة القاهرة على تشجيع المؤامرات ضد تونس من ناحية والتهرب من المفاهمات من ناحية اخرى ؟

والجواب هو ان المسالة ليست خلافا بسيطا ولا تفسرها نوايا الهيمنة والتوسع فحسب بل ان المسالة جوهرية تتعلق باتجاه العالم العربي . فهل للشعوب العربية ان تختار المنهج الذي تؤثره وترى فيه مصلحتها دون ان تخرج مع ذلك عن نطاق العروبة اما انها يجب ان تسير كلها في اتجاه واحد بقيادة دولة واحدة تحتفظ لنفسها وحدها بحق اختيار الاتجاه ؟

هذا هو المشكل الاساسي وهو الذي تولدت عنه هذه الزوبعة التي اثيرت مع تونس لان تونس ابت ان تسكت وصدعت برايها ولم تتردد في التصادم مع من يرى ان صفة العروبة تتشخص في تبني اتجاه القاهرة وحده .

هذا هو التصادم بين الارادتين وهو بعيد المدى كبير الخطورة لانه سيقرر مستقبل البلاد العربية وسيحدده وهو ما يفسر هذا العنف في الشتم الذي اظهرته دعاية القاهرة وهذا الافراط في التهم الملفقة التي تكيلها حكومة القاهرة لتونس متجاوزة في ذلك حدود اللياقة اللازمة بين دولتين تريدان ان تتعاونا وحدود الاخوة التي كان ينبغي ان تبقى قائمة بين شعبين شقيقين .

وسيكون لهذا الصراع فائدة جمة لانه سيكون فرصة تتفتح فيها الابصار وتزول الغشاوة عن قلوب الذين ظنوا باخوانهم خيرا فمنحوهم ثقتهم بدون جدال وينتهي الخوف الذي يعقل السنة المسؤولين في البلاد العربية الذين يشتكون مما اشتكينا منه ولا يملكون مع الاسف قوة اعلانه للملا .

ونحن في هذه المجلة التي ارادت ان يضيء نور الفكر العربي سبل القوميين في هذا المغرب العربي لا نستطيع ان نمتنع من الاعراب عن شكنا في مستقبل الفكر العربي في المشرق ما دامت صحف القاهرة واذاعتها تنتهك حرمته وتدوسه بنشرها كاذب الانباء وخيالي الاحداث بمناسبة هذا الخلاف وتعديها على الراي العام ومغالطته ، وعن اسفنا لرؤية نماذجه تجيز لنفسها ان تسعى لكبت حرية شعوب شقيقة بعد ما تألمت هي من قبل من كبت الحرية .

● الدورة الرابعة لمؤتمر الادباء العرب بالكويت

تقرر ان ينعقد مؤتمر الادباء العرب السنوي بالكويت من ٢٠ الى ٢٨ ديسمبر . وقد علمنا ان حكومة الكويت وجهت الدعوة لكتابة الدولة للمعارف لتوفد من يمثل تونس في هذا المؤتمر ، ولا ندري الى حد كتابة هذه الاسطر ممن سيتركب وفدنا .

وقد بلغنا ان موضوع البحث سيكون الى جانب مسألة الكتاب العربي قضية البطولة في الادب العربي .

ويظهر ان حكومة الكويت الموقرة التي تفضلت بدعوة المؤتمر الى الانعقاد بترابها استشارت المكتب الدائم للمؤتمر بالقاهرة في خصوص جدول اعمال المؤتمر

والقراء الافاضل يعلمون انه اثناء مؤتمر القاهرة المنعقد في ديسمبر ١٩٥٧ تم انتخاب الاساتذة محمود المسعدي وحسن حسني عبد الوهاب ومحمد مزالي في المكتب الدائم وكان يجب على هذا المكتب استدعاء الاعضاء المذكورين او على الاقل استشارتهم كتابيا قبل البت في موضوع جدول الاوقات الا ان شيئا من هذا لم يقع ولكنه اسلوب عمل اخذنا نتعود به شيئا فشيئا مع الاسف ! ... وهذا هو جدول الاعمال .

موضوع البحث في هذه الدورة يتركب من شقين :

أ - الشق الاول محاضرات تلقى ويعلق عليها حول

« البطولة في الادب العربي »

على حسب التفريعات المقترحة الآتية :

(١) البطولة كما يصورها الادب الجاهلي :

أ - في الشعر والنثر ب - ادب الصعاليك

ج - مقارنة بين نماذج البطولة في الادب الجاهلي ونماذجها في الآداب الاخرى في ذلك ... الخ ...

(٢) البطولة كما يصورها الادب العربي بعد ظهور الاسلام حتى سقوط بغداد :

أ - في القرآن الكريم والشعر والحكايات والقصص المترجمة والمقامات والنوادر والمحاورات والرسائل المطولة .

ب - وصف المواقع في كتب الادب مع الاهتمام بادب الخوارج وحروب الروم .

ج - اثر العقيدة الدينية في نماذج البطولة وادبها في هذا العصر

د ـ ادب الرحلات وما فيه من تصوير للمغامرات ... الخ ...

(٣) البطولة كما يصورها الادب العربي في الاندلس وشمال افريقية :

أ ـ في الشعر ـ ب ـ وصف البطولات في كتب الادب والرحالات

ج ـ كفاح المدن العربية ضد الغزاة د ـ البطولات الخيالية ... الخ ...

(٤) البطولة كما يصورها الادب العربي بعد سقوط بغداد حتى بداية القرن التاسع عشر :

أ ـ في الشعر ب ـ الفتوة في عهد الاقطاع واصداؤها في الادب

ج ـ المعتقدات الدينية الغيبية واثرها في تصوير البطولات ... الخ ...

(٥) البطولة كما يصورها الادب العربي الحديث :

أ ـ في الرواية ب ـ في القصة ج ـ في المسرحية د ـ في الشعر هـ ـ في ادب الصحافة ... الخ ...

(٦) البطولة في ادب الاطفال :

أ ـ نشأة ادب الاطفال ـ ب ـ البطولة في القصص المؤلفة للاطفال والمترجمة

ج ـ دراسة نفسية تربوية لما يجب ان تكون عليه نماذج البطولة في مراحل الطفولة

د ـ اثر القصص الجيدة في اعداد النشء

هـ ـ نظرات نقدية عن البطولة في قصص الاطفال المتداولة ومدى ملاءمة الاسلوب لمراحل الطفولة المختلفة ... الخ ...

(٧) البطولة كما يصورها الادب الشعبي

هذا ويلاحظ في بحث الموضوعات السابقة دور المراة في العصور المختلفة.

ب ـ الشق الثاني من موضوع البحث هو الكتاب العربي من حيث الطبع والنشر والتوزيع وسيبحث هذا الموضوع في لجان خاصة وتتخذ فيه التوصيات المناسبة التي تساعد على تيسير تداوله في البلاد العربية وستدعى بعض دور النشر والتوزيع للاشتراك في المناقشة في هذا الموضوع .

ونحن اذ نشكر حكومة الكويت على لطيف عنايتها و بالغ تشجيعها للادب ورجاله في عالمنا العربي لا يسعنا الا ان نرجو للمؤتمر في دورته الرابعة النجاح التام والسمو الى مستوى الادب الحق باجتناب ما لوحظ في مؤتمر القاهرة المذكور من تطرف لفظي ونزعة دعائية سخيفة .

وفي الختام نذكر بما قلناه في هـذه المجلة العدد ٤ من السنة الماضية الخـاص بمؤتمر الادباء العرب : « عسى ان يكون العرب خـلاقين في ادبهم وعسى ان يخلق ادبهم العروبة التي نريد ! »

● الادب الشعبي في الكفاح الجزائري

كانت الحركة التي انشاها الامير عبد القادر الجزائري في مقاومة الاستعمـار ذات جذور عميقة تلتحق بما كان يجري خلال عهد حكومة الاتـراك بالقطـر الجزائري ، فان تكالب اولئك الحكام الذين لم يكن اصل الكثير منهم غير اشخاص عاديين من ادنى الطبقات التحقوا جنودا مرتزقة باسطول الدولة العثمانية .فسياسة هؤلاء البايات والدايات لا اثر فيها للاصلاح واستعمال القواعد العمـرانية لفائـدة مستقبل الشعب بل مرادهم من تبادل الولايات والتهافت على الحكم جمع الثروات واستنزاف ما يقع تحت تصرفهم .

وذلك هو الذي نشأ في الشعب الجزائري رغبة في استبدال طريقة الحكـم وتطلعا الى منقذ يؤسس الحكومة على قواعد ارسخ وامتن مما هي عليه فظهـور حكومة الامير عبد القادر كان حلما ينتظر تحقيقه كل جزائري

فلما ولي الحكم وقام بواجب الجهاد القومي اتجهت الانظار تحيي آمالهـا وتنعش مطامحها في رؤية حكم صالح ينقذ الشعب من حالته .

وفي القطعة الاتية التي انشاها صاحبها سي الطاهر بن حواء في تحية الاميـر المجاهد تتمثل صرخات الضمير الشعبي وآماله في فوز ذلك المنقذ الذي حـدثتهم به الاخبار والكتب .

وطريقة نسجها تدل على ما كانت عليه لغة العامة من صفاء وعـذوبة وقـرب كبير الى اللغة العربية الفصحى .

وقد احيينا نقلها في هذا العدد الذي خصصناه للجزائر تتميما للفائدة :

يا من درى شي من يوم سلطاني مبارك ممزوج بالمسرات والـرضا مبـروك
بلّى تحب والي تريد يجمع شملـك ويدير ليك مولاك في المضيق سلـوك
تنال كل الصاعبه بقـوى نصـرك تقبض مفاتح الخير والقفل مفكـوك
تبلغ منازل تريدها يعظم ملكك بالعز والظفـر لا نجـا لمن عـادوك

ويعم الارض قبله وجوف وابل فضلك   بالفخر والهناء والثنا نصروك
واحييت سنة الدين في الزمان المهلك   نقمه لمن طغى يا عذاب من بغضوك
اسفار سابقة زمانها نبات بخبارك   توارخ العراب والعجم ذكروك
عبد العزيز عبد القادر عبد المالك   سادات بالبصيرة رووا ما جهلوك
والناس كلها بجميعها عبيد لامرك   من خشية الحسد والمنافس فهموك
محفوظ ما ترى باس من يريد الشر لك   مضمون من الاذى اهل الصفا ضمنوك
بالوفق جم ع الجمع في رفيع مقامك   الغوث والقطب للمزادمة دفعوك
عمرت دار الاشراف والعرب باتصالك   عفريت صول زدمة على العدو دكدوك
البر والبحر كل حشدت لفراعك   عيات ما تنافر وصارت الملوك
فوق الجنود وعلى البنود بند بندك   بالفخر والبها واعد السما مسموك
هز الوطا وهز الجبال صايت رعدك   الارض راجه والحصون ما رصدوك
زلزل اشجار واحجار ضخم عاصف ريحك   للضد ريح ورياح على الصديق مسوك
واسمى على اشراف الملوك سامي قدرك   رجال الارض وملايك السما عزوك
وورثت كل موروث مجد سابق قبلك   اسلافك الكريمه بنورهم لحظوك
زال الرقي وزال النقار ضده من عهدك   قفا معك مذكور وين ما ذكروك
رجال وافيين العهود صدقوا ظنك   ما خالفوك مافارقوك ما فلوك
هانوا عمارهم في رضا النبي ورضاتك   الله حبهم والرسول كحبوك
غنمو كثير الاجور في سعي رفقتك   ويوافقوك على ساعة القضا يحموك
ذا العام درت معلم خلصت فيه اديانك   سر بلت كي ضاري غنمت من خدعوك
السهل والوعر ضاق من كتايب جيشك   كلت السيوف في حصى عده المشكوك
نغرت بحور مياه قوية في بحرك   غرقت سفون في لج سطوتك عرفوك
الشوق هاج والوحش للقلوب درك   اراه وقت مبروك بالنظر نشفوك
يشاهدوك الاعيان فيه يعمهم فضلك   ارضا وعفو للخلف عمهم سمحوك
يا غاية الكرام النساب يا من نسبك   من بضعة النبي في نسابها نسبوك
ربي يباركنا يزيد لك في عمرك   وأعمارنا من الموت بالفدا يفدوك

عن المجلة الافريقية

Revue Africaine (1918)

◆ تونس في ندوة المكتب الدولي للشغل

غادر تونس في الاسبوع الفارط الاستاذ احمد عبد السلام للمشاركة في ندوة ينظمها المكتب الدولي للشغل ، وهي ندوة تضم ٢٣ خبيرا يمثلون بلدانا مختلفة وقع اختيارهم من بين المشرفين على التعليم وقد وقع تعيين الاستاذ احمد عبد السلام خبيرا من طرف هذه المنظمة العالمية للشغل بالاتفاق مع كتابة الدولة للتربية القومية وكتابة الدولة للصحة والشؤون الاجتماعية •

ويجتمع المكتب الدولي للشغل في هذه المرة للنظر في شؤون التعليم الاجتماعية والاقتصادية لرجال التعليم في مختلف بلدان الدنيا وستدرس مدى تأثير هذه الحالة الاقتصادية والاجتماعية على التعليم نفسه ، اذ مما لا شك فيه ان المستوى الاقتصادي والضمانات الاجتماعية التي يتمتع بها رجال التعليم لها تاثير مباشر عليهم وعلى ما يقومون به من اعمال ومجهودات ، ولها ايضا تاثير على مدى اقبال الشبان على المهنة التعليمية ،وان بقاء مرتبات الاساتذة والمعلمين في كثير من الاقطار دون المستوى المرضي سبب من اسباب الاعراض الذي تشتكي منه المهنة وسبب من اسباب قلة الاساتذة والمعلمين

ومن الجدير بالذكر ان هذه الندوة صادفت انجاز الحكومة التونسية لاصلاح مرتبات رجال التعليم • ولا شك في ان الاستاذ احمد عبد السلام سيتمكن من ذكر المجهود التونسي في هذا الميدان •

وقد بلغنا انه انتخب نائبا لرئيس الندوة المذكورة •

◆ مهرجان شعري

بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف انتظمت مهرجانات رائعة شرفها فخامة السيد رئيس الجمهورية بحضوره وتبارى بهذه المناسبة عدد كثير من شعرائنا فنظموا قصائد بديعة نقلت الاذاعة بعضا منها • وقد جاء في الصحف اليومية ـ التي ننقل عنها الخبر لان « الفكر » لم يحظ بشرف الدعوة الى هذا الاحتفال التاريخي ـ ان الاستاذ مصطفى الفيلالي كاتب الدولة للاخبار والارشاد اعلن عن اسماء الفائزين في هذه المباراة على النحو التالي :

ـ الطبقة الاولى : الصادق مازيغ ومحمد ناصر صدام واحمد المختار الوزير ومحمد الهاشمي زين العابدين وابن حميدة ومحمد الشعبوني •

ـ الطبقة الثانية : الشاذلي عطاء الله ونصر المرزوقي والحبيب المستاوي ومحمد زهود

ـ الطبقة الثالثة : محمود الباجي ويوسف المحجوب ومحمد الحليوي وحسن المبروك وجابر ابو بكر وعمر الجمالي واحمد الخبثاني ومحمد بن عبد الله الاسود والبشير الميداني

ـ الطبقة الرابعة : بلحسن بن شعبان وعياد العريبي واحمد خير الدين وصالح ابن شعبان وعمر العبيدي والهادي القطناسي وعبد الله الزناد ومنور صمادح وخديجة بن شعبان •

◆ مسابقة ادبية لعيد العرش في المغرب

نشرت الصحف المغربية هذا البلاغ لمدير التشريفات الملكية والاوسمة :

نظرا لقرب حلول ذكرى عيد العرش المجيد ، ذلك العيد السعيد الذي تجدد فيه مختلف الطبقات المغربية ولاءها وحبها لصاحب الجلالة الملك المعظم ، وسيرا مع ما جرت به العادة كل سنة في هذه المناسبة من اجراء مباراة ادبية شعرية ونثرية ، يعلن مدير التشريفات الملكية لسائر الشعراء والكتاب الراغبين في المشاركة هذه السنة في المباراة المذكورة ان يبعثوا له بما تجود به قرائحهم في الموضوع وذلك قبل يوم فاتح نوفمبر سنة ١٩٥٨ حتى يتسنى للجنة التحكيم اصدار رأيها بالنتائج في الوقت المناسب ليتم توزيع ما يتفضل صاحب الجلالة بمنحه من الجوائز •

◆ مظاهر الحضارة المغربية

أهدتنا سفارة المغرب الشقيق بتونس كتابا عنوانه « مظاهر الحضارة المغربية » يقع في جزئين وقد الفه الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله خريج كلية الحقوق والآداب (جامعة الجزائر) •

والكتاب يحتوي على دراسات قيمة وتحقيقات مضبوطة عن اهم مظاهر الحضارة المغربية مصحوبة بلوحات جميلة وكثيرة تمثل مختلف الفنون الجميلة •

وصدوره جاء في الابان اذ من الضروري أن يعرف العالم شرقيه وغربيه ما

تمتاز به حضارة المغرب العربي عامة وحضارة المغرب الاقصى خاصة من روح انشائية خلاقة ، ونزعة توفيقية ائتلافية تروم الاعتدال وتنزع الى الوئام ، واصالة وعظمة .

وقد ادرك المؤلف ان على المثقفين بهذه الديار ان يهدمـوا ما بثتـه الايـدي الاستعمارية الاثيمة من نظريات باطلة مشوهة عن بلادنا ممـا جعل معظم الـزائرين الذين يؤمـون بلادنا ـ سواء كانوا من الشرق ام من الغـرب ـ لا يخفـون تعجبهم واعجابهم بما يرونه من معالم الحضارة الاصيلة التي هي حضارة بلادنـا .

فشكرا للمؤلف على هذا العمل الجليل والى السفارة المغربية على هديتها اللطيفـة ـ (توزع الكتاب دار السلمي للنشر بالدار البيضاء) ـ

◆ اصلاح التعليم في روسيا

منذ ان طلع نبأ « السبوتنك » الروسي على العالم في السنة الفارطـة لا يزال رجال التعليم واساتـذة التربية ينوهون بنظام التعليم وبفاعليته ونتائجـه في بـلاد الشيوعية . وقد رددت الاخبار صدى الصدمة التي احدثها « السبوتنك » في نفوس الامركان عامة والقائمين بشؤون التعليم هناك خاصة اذ افاقوا بغتةمن سبات ثقتهم في انفسهم وفي اسـاليب تربيتهم . لقد ادركوا بالخصوص ان الافراط في الحرية الممنوحةللتلامذة في اختيار مواد دراساتهم والتفريط في حظ العلوم الصحيحـة والرياضيات خطر على مستقبل البلاد وعامل تاخر وانحطاط .

وكان يبدو ان روسيا حرية بان تفاخر غيرها من الامم بفعالية نظام التعليم في مدارسها وخصوصا في كلياتها حيث يفوق عدد الطلبة مجموع طـلبة اربع دول اوروبية عظمى هي انقليترا وفرنسا والمانيا وايطاليـا ، اي ٣٠ مليون في المدارس واكثر من ٤ ملايين في الجامعات والمعاهد العالية .

لقد كان يبدو ذلـك الى ان ورد في الصحف اليومية والاسبوعية في الايـام الاخيرة ان رئيس الحكومة الروسية والكاتب العام للحزب الشيوعي السيد خروتشوف حرر تقريرا قاسيا في هذا النظام التعليمي الروسي الذي ينظر العالم الى نتائجه باعجـاب .

ومما جاء في تلخيص مجلة « الاكسبريس » لهذا التقرير ان الاعتناء بالتعليم النظري وما يخوله من مناصب عليا جعل اولياء الطلبة ينظرون الى الاعمال اليدوية

والى الشغل عامة نظرة احتقار واشمئزاز، الامر الذي نشأ عنه تكوين طبقة اجتماعية جديدة هي طبقة كبار الموظفين والمسؤولين تسعى سعيا الى ان ينشأ ابناؤهم على شاكلتهم، لا يلوثون ايديهم بالاشغال في المعامل ، وهذا غريب في بلاد الثورة الحمراء التي حرم فيها على ابناء الطبقات الارستقراطية ولوج ابواب التعليم العالي مدة سنوات كثيرة ، حتى لا يفوز بالمعرفة العالية الا جيل الثورة وابناء الشغالين الكادحين .

وظاهرة اخرى اثارت غضب « خروتشوف » هي ان هذا الاشمئزاز من الاعمال اليدوية دفع الطلبة الى الانخراط في اي قسم من الجامعة ولو من دون استعداد طبيعي للنجاح فيه ، مما يسبب في انحطاط المستوى ويعطي للصدف الدور الاول في اختيار المهنة .

ويضرب الرئيس السوفياتي مثالا فيذكر الدراسات الفلاحية التي يتلقاها الطالب الروسي في « الاكاديمية العالية للفلاحة » التي تحمل اسم « تميريازيف » يقول انها نظرية لا تعتمد على التطبيق ، يتخرج منها الطلبة فلا يفهمون شيئا من واقع الفلاحة ؛ ثم يشير الى التعليم الفلاحي العالي في الدول الراسمالية قائلا : هناك يتعلم الطلبة وفي نفس الوقت يمارسون فنهم بالتطبيق .

والعلاج - في رايه - يتمثل في الرجوع الى ما قام به الثوريون غداة ثورة ١٩١٧ حيث انشأوا الجامعات العمالية بل نظموا في جميع المعامل الكبرى دروسا مسائية رفعت مستوى والعمال كونتهم التكوين الصحيح فتخرج عدد عديد من والفنيين المهندسين الممتازين، اليهم يرجع فضل القفزة الصناعية التي وفقت اليها بلادهم .

وختم « خروتشوف » تقريره معلنا انه من الآن فصاعدا سيتلقى جميع الاطفال دراساتهم الابتدائية لمدة سبع او ست سنوات ثم يوجهون الى المعمل او الضيعة الاشتراكية « الكلكوز » مهما كانت وظائف آبائهم . وهناك يتاح لهم ان يواصلوا دراساتهم الى جانب عملهم اليومي !

ورد سلفا على من يخشون انحطاط المستوى العام بقوله: « ان الشبان الذين هم في الخامسة عشرة من عمرهم سيدخلون في دولاب الانتاج وسيقومون باعمال تناسب سنهم ومن واجب منظمات الحزب والنقابات ان يحرضوهم على

التعمق في معلوماتهم العامة وذلك بالحضور في الدروس المسائية ، ولو لم يكن لهم طموح في التعليم العالي . وبما انهم لا يوجد حد اقصى للسن في قبول هؤلاء التلاميذ الى تلك الدروس فانه في امكانهم ان يستانفوا دراساتهم متى شاؤوا حتى بعد مرور بعض سنوات . ومهمة تشكيلات الحزب الشيوعي والنقابات هي اعانتهم وتوجيههم وانتخاب اخيارهم حتى لا تضيع اي ملكة او استعداد . ويكون النشاط السياسي والسلوك في المعمل معيارا آخر لهذا الانتخاب » .

ان هذا الاصلاح - كما نرى - انقلاب حقيقي وان جميع الدول ستتتبعه بكامل الاهتمام

◆ تعارفوا . . . تعارفوا

عن الزميلة « الرسالة الجديدة » التي تصدر بالقاهرة في عددها الرابع والخمسين ان دار الكتب افتتحت موسم ندواتها الثقافية بان قدمت برنامجا خاصا في مكتبة الفن عن العراق ونظمت محاضرات عن الحياة الثقافية في العراق ومن بين المتحدثين في هذه الندوة الاستاذ مصطفى حسنين القاضي المصري الذي عاش هناك عشر سنوات وكان موضوع محاضرته : « العراق الحديث » .

ومما جاء في كلمته قوله :

« كان يؤلمني ان ارى اخواني في مصر لا يعرفون شيئا عن العراق فهم يتتبعون حركتنا الفكرية ويعرفون ادباءنا حتى غير اللامعين منهم ... ويتعصبون لهم ، وكانت الصحف والكتب المصرية ما تكاد تصل الى بغداد حتى تتلقفها الايدي ، في الوقت الذي كنت ارى في بغداد علماء وادباء وكتابا من طراز ممتاز ... ارى رضا الشبيبي وجواد علي وعلي الوردي وجعفر الخليلي ومحمد مهدي الجواهري وغيرهم .. ارى فنانين فيهم جوهر اصيل . كل هؤلاء يجب ان نعرفهم ، يجب ان يلتقي الفكر العربي بهم في كل مكان »

ونحن إذ ننقل لقراء « الفكر » هذه الجملة فلاننا نشعر في تونس بما يشعر به الادباء في العراق ، كما شهد بذلك الاستاذ مصطفى حسنين ، ونتألم من جهل ادباء مصر بواقع تونس الثقافي بينما نعرف هنا عنهم كل شيء ، ونلتهم انتاجهم التهاما .. واذا كان الاستعمار في الماضي حائلا دون التعارف فما يمنع ادباء مصر من معرفة الادباء العرب ... بتونس والمغرب العربي ؟...

◆ سوق العراق

وجاء في نفس العدد من نفس المجلة هذا النبأ الذي نكتفي بنقله :

« اعادت اغلب دور النشر المصرية طبع الكتب التي صدرت في العامين الاخيرين بكميات هائلة وذلك بعد فتح سوق العراق امام الكتاب المصري : ويتنبأ بأن سوق العراق سوف يمتص الكثير من الانتاج المصري وتحل ازمة النشر ! » .

◆ الشعر المنثور ... والنثر المشعور ...

ألقى مندوب احدى المجلات المصرية على الشاعر صالح جودت هذا السؤال : قلت انك تهوى من الشعر موسيقاه ... فما رايك في الشعر المنثور ؟ هل نعده نظما ذا قواعد واصول » ام ان له موسيقى خاصة لا دخل للوزن ولا للقافية فيها ؟

فاجاب الشاعر صالح جودت بقوله :

الشعر المنثور يعتبر نثرا وليس شعرا ، واجمل منه ما تكتبه الاقلام النائرة ذات الاخيلة اللطيفة والالفاظ الموسيقية كاسلوب احمد حسن الزيات مثلا . ورايي في الشعر الجديد عموما انه لا يمت الى الشعر بصلة وان اصحابه يريدون اقحام انفسهم على الشعراء مع انعدام الموهبة الشعرية عندهم وعجزهم عن اداء موسيقى الشعر ، وصياغة المعاني الشعرية في الاطار المعروف الذي تتالف عناصره من موسيقى الوزن والقافية ، ولا شك ان اعترافنا بشيء كهذا يعد اجتراحا لقدسية الشعر ويفتح الباب على مصراعيه للفضوليين والمتطفلين على الشعر ....

وخير ما اسوقه في هذا الصدد ما قاله الاستاذ العقاد رئيس لجنة الشعر في المجلس الاعلى للفنون والآداب حين جاؤا له بمجموعة كبيرة من هذا الشعر الجديد للنظر في امر طبعها ، فوضعها جميعا في ملف كتب عليه « يحول الى لجنة النثر للاختصاص » .

فما هو راي ادبائنا في الموضوع ؟...

◆ الانتاج الفكري في الغرب

في السنوات الخمس الاخيرة كان الانتاج الفكري في فرنسا متقاربا كل سنة

اذ انه في عام ١٩٥٣ صدر ١٠٠١٧ كتابا وفي ١٩٥٧ صدر ١٠٣٦٤ كتابا و١٠٦٢٢ عام ١٩٥٤ . وهكذا فان الانتاج في فرنسا يكاد يدور حول العشرة آلاف كتاب في السنة . وهذه الكتب المطبوعة في فرنسا ثلاثة انواع : الكتب المحررة بالفرنسية والكتب المترجمة الى الفرنسية والكتب المحررة بلغات اجنبية عن اللغة الفرنسية .

وهذه الكتب الاخيرة نجدها محررة بالانقليزية (٥٥ كتابا) والالمانية (٤٨ كتابا) والاسبانية (١٧) والايطالية (١٥) والعربية (كتاب واحد) الخ..

اما الكتب المترجمة الى الفرنسية فهي تناهز الاربعمائة بالنسبة للكتب التي اصلها انقليزي و٣٥٨ كتابا باللغة الامريكية و١٧٩ بالالمانية وتسعة كتب بالعربية الى غير ذلك من الكتب المترجمة عن الايطاليةوالروسية والاسبانية واليونانية والهندية والمجرية .

امابقية الكتب فهي محررة بالفرنسية .

هذا بالنسبة للانتاج الفكري بفرنسا فاذا قارناه بالبلدان الغربية الاخرى نجد في المقدمة عام ١٩٥٧ بريطانيا العظمى (٢٠٧١٩) ثم المانيا الفدرالية (١٧٢١٥) وبعدها الولايات المتحدة الامريكية (١٣١٤٢) وايطاليا (١٣١٢١) وفرنسا(١١٩١٧) وهولندا (٧٢٩٤) ثم النمسا (٤٣٤٧) ثم سويسرا (٤٢١٦) واخيرا بلجيكيا (٣٤٦٩) .

● خصصت مجلة « العصور الحديثة » في عددها الصادر في اكتوبر ١٩٥٨جل مقالاتها في التحدث عن المظاهر الجديدة التي اصطبغ بها المجتمع الامريكي في الولايات المتحدة وقد أكدت هاته المقالات ما يتصف به الامريكاني من الغرابة في هذا القرن الذي كثرت فيه الاختراعات وسيطر العلم على كل الميادين واصبح الفرد مغلولا مقيدا بشتى العوامل . وبذلك صار الامريكي لا يبحث الا عن اللهو في اوقات فراغه وبصفة اوضح ينشد « قتل الوقت » فيقتله الوقت كما قال « هاق » في مقال عن الثقافة الشعبية الامريكية . وكذلك مجلة«اسبري» فانها خصصت عدد هذا الشهر لامريكا اللاطينية. فاتفقت هاتان المجلتان على الالتفات الى العالم الجديد .

◆ مذكرات « سيمون دي بوفوار »

Simone de Beauvoir كاتبة مشهورة معروفة بقصصها وبحثها المدقق المرتكز على معطيات علمية في المرأة من يوم نشوئها إلى الاطوار التي تمر بها في حياتها المليئة عبودية وقهرا كما تقول الكاتبة . وفي هذه المذكرات قصت الكاتبة البارعة حياتها يوم

كانت طفلة « تنظر وتجس وتتعلم الشيء الكثير عن العالم في رعاية غيرها » ويوم ان اصبحت تفكر في الله وتقول في نفسها « ان الذي يقلقها هو ان الله يحرم كثيرا من الاشيا، لكنه لا يطلب شيئا ايجابيا الا بعض الصلوات وبعض الاعمال التي لا تغير شيئا من سير الايام » ويوم ان اعتقدت ان « الفلسفة لم تفتح لها لا السماء ولا مكنتها من الارض » اصبحت « لا تطيق الضجر لانه سرعان ما ينقلب الى الحيرة والقلق لذلك (فهي) تكره الفراغ » لكنها عند ما تاقت الى العمل الخلاق وجدت نفسها ازاء نوع من العمل زائف فكرهته اذ « تحققت ان كل منفذ لما يمليه عليه غيره لا ينتج ولا يخلق شيئا وانما يتوهم او يوهم انه ينتج ويخلق • اما الخلق فهو امر آخر ولذلك (فهي تسر عند ما ترى شيئا جديدا يخلق في هذا العالم » وهكذا تتغلب « دي بوفوار » على القلق بالعمل وبالخلق الادبي ثم هى تتحرر مما فرضه عليها المجتمع ككل النساء قد كبلها وعلمها اشياء لتكون طيعة منقادة الى الرجل • تحررت هي من كل ذلك واصبحت تؤمن بان لا احد يمكن له ان يكيف مصيرها ويفرض عليها قيودا . لذلك فان هذه الكاتبة تعد من النساء اللاتي تحررن لا بمقتضى ثورة عامة او نتيجة لانقلاب في المجتمع كما هو الشأن بالنسبة للمرأة الامريكية بل تحررها هو ثمرة كفاح فردي دؤوب مستميت وتفكير صاحبه الجهد والتعب • فهي الى جانب « ألبا دي سسبديس » الكاتبة والقصاصة الايطالية المعروفة **Alba de Cespédès** تمثل المرأة المكافحة في سبيل حريتها .

◆ مولد التحرر

اهدانا الشاعر منور صمادح نسخة من ديوانه الجديد « مولد التحرير » وهو الكتاب السادس الذي ينشره هذا الشاعر الثائر في مدى اربع سنوات • فقد نشر ديوانه الاول « الفردوس المغتصب » عام ١٩٥٤ وفي نفس العام نشر ديوانه الثاني « فجر الحياة » الذي حجزته السلطات الاستعمارية ثم استمر فيضه المبارك يتدفق •

ونحن الان نكتفي بشكر صديقنا الاديب الشاب على هديته القيمة • ونضاعف له الثناء على نشاطه واقدامه على مد الحركة الادبية التونسية بهذا الغذاء الفكري الشهي الذي تتلهف عليه فقام مقام الف شاعر عندنا قضوا اعمارهم في عمل « الاستخارات » عن نشر كتبهم ودواوينهم بينما حركة التاليف والنشر في بلادنا تشكو الجفاف والجدب والضمأ •